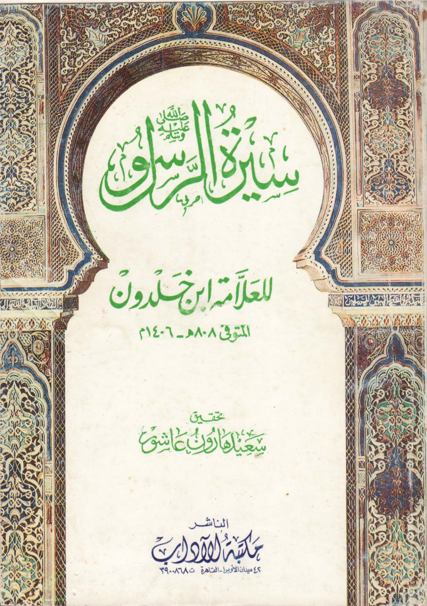


سيرة الرسول ﷺ

للعلامة ابن خلدون

المتوفى ٨٠٨هـ - ١٤٠٦م

تحقيق

سعيد هارون عاشور

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨



سيرة الرسول ﷺ

للعلامة ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م

تحقيق

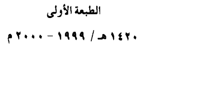
سعيد هارون عاشور

روجعت على نسخة العلامة الهوريني ونسخة فاس

الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا القاهرة - ت: ٣٩٠٠٨٦٨

البريد الألكتروني: adabook @ hotmail. com


الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م



ابن خلدون وكتابه

الشيخ ولى الدين أبو زيد : عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمى الإشبيلى المعروف بابن خلدون . هاجر جده الأعلى خالد – أو خلدون كعادة أهل المغرب فى إضافة الواو والنون – من اليمن خلال القرن الثالث الهجرى إلى المغرب . . وتنقلت الأسرة بين بلاد المغرب، وكان أن وُلد شيخنا فى تونس أول رمضان ٧٣٢هـ ١٣٣٢م.

أخذ ابن خلدون عن والده علوم العربية، كما جلس لأفذاذ عصره من العلماء فى كل الفنون، ومهر شيخنا فى الأدب والكتابة . وهفت نفسه إلى المناصب العالية، فأخذ يتنقل بين تونس ومراكش وغرناطة بالأندلس، واشتغل بالفتن والمؤامرات والحروب التى كانت قائمة بين حكام هذه البلاد؛ فالعصر عصر انقسام المغرب العربى والأندلس إلى دويلات . . وكان أحياناً ينجح فى تحقيق ما تطمح إليه نفسه؛ فقد تولى كتابة السر فى فاس كما ولِى فى تونس كتابة العلامة (التوقيع السلطانى)، كما صار قاضى القضاة فى فاس . . وكان أحياناً يزج به فى السجون، فقد اعتقل نحو العامين سنة ٧٥٨هـ.

كان ابن خلدون كثير الترحال؛ فزار تلمسان، وبسكرة، وغرناطة، والإسكندرية، والقاهرة، ودمشق، ومكة، واتصل بأمراء هذه البلاد، وقد استفاد ابن خلدون من رحلاته وتجاربه خبرات انعكست على مؤلفاته التى اتسمت بالنظرة الاجتماعية المقارنة والفلسفية أيضاً، وظهر ذلك جليًا فى مقدمته . .

ولما مجّ ابن خلدون الحياة السياسية المضطربة قصد بأهله تلمسان ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م فأقام هناك أربع سنين انقطع فيها للمطالعة والدرس والتأليف، وراودته فكرة تأليف كتاب فى التاريخ، يسجل فيه تاريخ كل دولة على حدته، ولا يتبع النظام المتبع قبله وهو ترتيب التاريخ على السنين، فكتب مقدمة كتابه هذا فى تلمسان، ثم رحل إلى تونس فأتم بها تصنيف الكتاب، ونتيجة للمؤامرات ضده فى تونس رحل إلى مصر.

وفى مصر جلس ابن خلدون للتدريس فى الجامع الأزهر، وأجرى عليه السلطان المملوكى برقوق رزقًا يقوم بكفايته، ثم ولاه قضاء المالكية، ثم عُزل عنه، ثم ولى مشيخة

المدرسة البيبرسية، ثم عزل، ثم ولى القضاء، ولم يلبس زىّ القضاة فى عهده بل ظل على زيّه المغربى. وكان فى قضائه عادلاً حازماً لم يقبل شفاعات الأعيان؛ مما أسخطهم عليه، فكادوا له، فيعزل ثم يعود، وقد تكرر ذلك مراراً وكان آخرها فى رمضان ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م فقد عاد، وبعد ثمانية أيام من إعادته لقى ربه عن أربعة وسبعين عاماً، ودفن فى مدافن الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة.

مؤلفات ابن خلدون:

١ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر.

٢ - شرح بردة البوصيرى ٣ - كتاب فى الحساب.

٤ - رسالة فى المنطق. ٥ - شفاء السائل لتهذيب المسائل.

هذا الكتاب:

تجمعت لدى ثلاثة كتب مطبوعة من الجزء الخاص بالسيرة النبوية من كتاب تاريخ ابن خلدون. اخترت منهم كتابين:

الكتاب الأول: نسخة المطبعة الأميرية وقد تم طبعها فى ذى الحجة ختام ١٢٨٤هـ، ١٨٦٥م وقد قام بتصحيحها الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى، وهو مصرى أزهرى عالم بالادب واللغة، أرسلته حكومة مصر إماماً لإحدى بعثاتها فى فرنسا فأقام هناك مدة ثم عاد إلى قسم التصحيح بالمطبعة الأميرية، فصحح كثيراً من كتب العلم والتاريخ واللغة، كما صنف كتباً كثيرة أيضاً.. ويقول الشيخ الهورينى فى ختام النسخة: وكان معتمدى على مراجعة شرح المواهب اللدنية بسيرة إمام المرسلين ﷺ ... وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف (هـ).

الكتاب الثانى: من منشورات المكتبة التجارية بفاس، وتم طبعه ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر. وقد صحح الأصول وضبط الأعلام الأستاذان علال الفاسى، وعبد العزيز بن إدريس بالمغرب، وعلق على الكتاب الأمير شكيب أرسلان... وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف (م).

وتتميز النسخة الثانية عن الأولى بل عن غيرها من النسخ بكثير من الاعتناء والتحقيقات.

والكتاب على صغره قيم؛ فقد حوى الكثير والكثير جداً من مفردات السيرة العطرة متميزاً عن غيره من المختصرات التى تختار بعض الموضوعات وتبرزها.. وأسلوبه رشيق وإيقاعه سريع يقترب فى بعض النقاط من الأسلوب التلغرافى.. وهو فى جملته نظم بديع لفرائد السيرة العطرة يدل على استيعاب الشيخ للسيرة العطرة استيعاباً كاملاً... وهو بهذا كتاب للجميع.. نفعنا الله به.

عملى فى هذا الكتاب:

١ – قابلت النسختين هـ، م وأثبتُّ مواضع الاختلاف بينهما، وصوبت الخطأ فيهما مع بيان ما اعتمدت عليه من المراجع فى ذلك.

٢ – التحقق من صحة ما اتفقا فيه أيضاً، وذلك بمراجعة مفردات الكتاب –وما أكثرها– على كتب السيرة المعتمدة وتسجيل ما رجعت إليه فى تصويب الأخطاء.

٣ – التحقق من صحة أسماء الرجال والأنساب بالرجوع إلى كتب الأنساب وكتب الرجال.

٤ – ضبط الأعلام.

٥ – تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٦ – توضيح لمعانى غريب الألفاظ الواردة فى الكتاب.

٧ – التعليق لزيادة بيان بعض النقاط التى وردت فى الكتاب موجزة.

٨ – وضع عناوين جانبية تتميز عن عناوين المؤلف بوضعها بين قوسين [ ].

٩ – عمل فهرس أبجدى عام (رجال / قبائل / مواضع).

وأخيراً الكمال لله وحده، والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وعلى آله وصحبه وسلم.

سعيد هارون عاشور





يقول(*) العبد الفقير الى رحمة ربه، الغنى بلطفه، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى وفقَّه الله تعالى

(الحمد لله) الذى له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت* العالم فلا يَعزُبُ عنه ما تُظهره النجوى أو يخفيه السكوت* القادر فلا يُعجزه شيءٌ فى السموات والارض ولا يفوت* أنشأنا من الارض نسمًا* واستعمرنا فيها أجيالا وأُممًا* ويسَّرَ لنا منها أرزاقا وقِيَمًا* تكنَفنا الأرحام والبيوت* ويكفلنا الرزق والقوت* وتُبلينا الأيام والوقوت* وتعتورنا الآجالُ التى خُطَّ علينا كتابها الموقوت* وله البقاء والثبوت * وهو الحى الذى لا يموت * (والصلاة والسلام) على سيدنا ومولانا محمد النبى الامى العربى المكتوب فى التوراة والإنجيل المنعوت* الذى تمخض لفصاله الكونُ قبل أن تتعاقب الآحاد والسبوت* ويتباين زُحَلُ واليهموت* وشهدَ بصدقه الحمامُ والعنكبوت* وعلى آله وأصحابه الذين لهم فى محبته واتباعه الأثر البعيد والصيت* والشملُ الجميع فى مظاهرته ولعدوِّهم الشمل الشتيت * صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المبخوت * وانقطع بالكفر حبله المبتوت * وسلم كثيراً [....].

[...] أمر النبوة والهجرة

وما كان من اجتماع العرب على الإسلام

بعد الإباية والحرب

[**مُضَر والعرب قبل الإسلام**] لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر(١)، وافترقت قبائل مُضَر فى أدنى مدن الشام والعراق وما دونهما من الحجاز، فكانوا ظعونًا وأحياء(٢).

(*) هذه بداية كل النسخ مطبوعة وخطية من كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر».

(١) استقرت قريش بمكة بعد أن حارب قُصَىّ الجد الرابع للنبى ﷺ خُزاعة وأجلاها عن مكة.

(٢) ظعونًا وأحياء: أى رُحَّل ومستقرون.

وكان جميعهم بمسغبة وفى جهد من العيش؛ بحرب بلادهم[١]، وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام. وأربابهما يُنزلون حاميتهم بثغورها، ويجهزون كتائبهم بتخومها، ويولون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر، ويحملهم على الانقياد، حتى يؤتوا جباية السلطان الأعظم[٢]، وإتاوة ملك العرب، ويؤدوا ما عليهم من الدماء والطوائل[٣] من يستـرهن أبناءهم على السلم وكف العادية[٤]، ومن انتجاع الأرباب، وميرة الأقوات، والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع الخراج، وتستأصل من يروم الفساد. وكان أمر مضر راجعًا فى ذلك إلى ملوك كِنْدة بنى حجر آكل المُرار منذ ولاه عليهم تُبَّع حسَّان كما ذكرناه.

ولم يكن فى العرب مُلك إلا فى آل المنذر بالحيرة للفرس، وفى آل جفنة بالشأم للروم، وفى بنى حجر هؤلاء على مُضَر والحجاز.

وكانت قبائل مضر مع ذلك، بل وسائر العرب، أهل بغى وإلحاد، وقطع للأرحام، وتنافس فى الردىّ، وإعراض عن ذكر الله، فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة، وأكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان، وأشرفُ طعامهم أوبار الإبل إذا أمَرّوها فى الحرارة فى الدم، وأعظم عـزِّهم وفـادةٌ على آل المنذر وآل جفنة وبنى حجر[٥]، ونجعة من ملوكهم، وإنما كان تنافسهم الموؤدة والسائبة[٦] والوصيلة والحامى.

[**إعداد العرب لاستقبال الرسالة الخاتمة**] فلما تأذن الله بظهورهم، واشرأبت إلى الشرف هَوادى أيامهم، وتم أمر الله فى إعلاء أمرهم، وهبت ريحُ دولتهم وملة الله فيهم،

---

(١) حرب بلادهم: أى الحروب الداخلية التى تنشب بين القبائل على الماء والعشب والطرق التجارية.

(٢) السلطان الأعظم: يقصد به كسرى فارس أو قيصر الروم.

(٣) الطوائل: جمع طائلة وهى الثأر.

(٤) أى يقدم العربى ابنه رهينة للملوك ضمانًا للسلم وعدم الاعتداء.

(٥) فى جميع النسخ (بنى جعفر) وهذا لا شك تصحيف؛ فملوك العرب هم آل المنذر، وآل جفنة، وبنو حجر.

(٦) السائبة والوصيلة والحامى، اختلف العلماء فى تعريفاتها، ولكن من مجموع ما قالوه أنها دواب ما بين ناقة وشاة عدا الحامى فهو فحل الإبل، وأن هذه الدواب تُسَيَّب فلا تركب، ولا يُجزّ وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيف. ويقول السهيلى: أمور كانت فى الجاهلية أبطلها الإسلام، وحَسْبُكَ منها ما جاء فى القرآن ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ**﴾ [المائدة: ١٠٣] والبحيرة: ابنة السائبة تشق أذنها وتعامل كأمها.

تبدَّت تباشير الصباح من أمرهم، وأُونس(١) الخير والرشد فى خلالهم، وأبدل الله بالطيب الخبيثَ من أحوالهم وشرهم، واستبدلوا بالذل عزًا، وبالمآثم متاباً، وبالشر خيراً، ثم بالضلالة هدى، وبالمسغبة شبعًا وريًا، وإيالةً(٢) وملكاً.

وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه، فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ماكان.

[**موقعة ذى قار**] أوقع بنو شيبان وسائر بكر بن وائل وعبس بن غطفان بطيىء، وهم يومئذ ولاة العرب بالحيرة، وأميرها منهم قبيصة بن إياس، ومعه الباهوت صاحب مَسلحة كسرى، فاوقعوا بهم الوقعة المشهورة بذى قار، والتحمت عساكر الفرس. وأخبر بها رسول الله ﷺ أصحابه بالمدينة ليومها، وقال: «اليوم انتصفت العرب من العجم، وبى نُصروا»(٣).

ووفد حاجب بن زُرارة من بنى تميم على كسرى فى طلب الانتجاع والميرة بقومه فى إباءة(٤) العراق، فطلب الاساورة منه الرهن على عادتهم، فأعطاهم قوسه، واستكبر عن استرهان ولده، فتوقعوا منه عجزاً عما سواها.

وانتقلت خلالُ الخير من العجم ورجالات فارس، فصارت أغلبَ فى العرب، حتى كان الواحد منهم هَمُّهُ بخلاقه وشرفه، وغلبَ الشر والسفسفة على أهل دول العجم.

وانظر فيما كتب به عمر إلى أبى عبيد الثقفى(٥) حين وجهه إلى حرب فارس: «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والحريّة(٦)، وتقدم على أقوام قد جرؤوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون!» انتهى.

---

(١) أونَش: تغلغل.

(٢) إيالة: إمارة وملكا.

(٣) رواه ابن قانع فى معجم الصحابة بسند ضعيف، وذكر الهيثمى رواية عن الطبرانى وقال ورجاله ثقات رجال الصحيح غير خلال بن عيسى وهو ثقة؛ وفيها أن النبى ﷺ بعث أبا بكر إلى بنى بكر بن وائل يدعوهم إلى الإسلام فقالوا: امهلونا حتى تنتهى الحرب بيننا وبين الفرس، ثم ننظر فى الأمر، فلما التقوا بالفرس فى يوم ذى قار تذكروا اسم النبى «محمد» فكان شعارهم فنصروا. فقال رسول الله ﷺ: «بى نصروا».

(٤) هذه الكلمة «إباءة» معناها أجمة القصب، وقد اختلف رسمها باختلاف النسخ، فهى فى هـ: أباب وفى غيرها أرياف، وما أثبته يناسب المعنى وواقع الحياة النباتية فى جنوب العراق، كما أنها أقرب إلى رسم الكلمة فى هـ، م.

(٥) فى هـ (أبى عبيد بن المثنى) وهذا خطأ، والصواب ما أثبتناه؛ فأبو عبيد بن مسعود ثقفى، والمثنى بن حارثة شيبانى. وقد أسند عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه القيادة لأبى عبيد والمثنى تحت إمرته (الطبرى ٣/٤٤٤).

(٦) وهى فى م (الحيرة).

وتنافست العرب فى الخلال، وتنازعوا فى المجد والشرف، حسبما هو مذكور فى أيامهم وأخبارهم. وكان حظ قريش من ذلك أوفر، على نسبة حظهم من مبعثه ﷺ، وعلى ما كانوا ينتحلون من هَدْى آبائهم.

[**حلف الفضول**] وانظر ما وقع فى حلف الفضول، حيث اجتمع بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العُزَّى، وبنو زهرة، وبنو تيم[1]. فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُرَدُّ عليه مظلمته. وسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وفى الصحيح عن طلحة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعانَ حلفاً ما أُحب أنَّ لى به حُمرَ النَّعم، ولو دُعى به فى الإسلام لأجبتُ»[2].

[**التماس الحنيفية**] ثم ألقى الله فى قلوبهم التماس الدين،وإنكار ما عليه قومهم من عبادة الأوثان، حتى لقد اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وعثمان بن الحويرث بن أسد، وزيد بن عمرو بن نفيل من بنى عدى بن كعب عم عمر بن الخطاب، وعبيد الله بن جحش من بنى أسد بن خزيمة، وتلاوموا فى عبادة الأحجار والأوثان، وتواصوْا بالنفر[3] فى البلدان بالتماس الحنيفيَّة دين إبراهيم نبيهم.

فأما ورقة فاستحكم فى النصرانية، وابتغى من أهلها الكتب، حتى عُلم من أهل الكتاب.

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه حتى جاء الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى الحبشة فتنصَّر، وهلك نصرانيًا. وكان يمر بالمهاجرين بأرض الحبشة، فيقول: فقحنا وصأصأتم؛ أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، مثل ما يقال فى الجرو إذا فتح عينيه: فقح وإذا أراد ولم يقدر: صأصأ.

وأما عثمان بن الحويرث، فقدم على ملك الروم قيصر، فتنصر، وحسنت منزلته عنده.

---

(1) فى هـ (بنو تميم) وكذلك غيرها من النسخ، وماأثبته من م هو الصواب، فبنو تميم ليست قرشية، والحلف حلف قريش، وعقد فى بيت ابن جُدْعان وهو من بنى تيم بن مرة.

(2) وقد روى نحوه الحميدى، وفيه تحالفوا أن تُردّ الفضول على اهلها، والا يعز ظالم مظلومًا. وحُمر النعم أى الإبل الحمراء وهى أعز أموال العرب، ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت أى لو استنجد به رجل لأجبته لسلامة مبادئه التى تدعو إلى نصرة المظلوم.

(3) النفر فى البلدان: التفرق والسياحة فى البلدان.

وأما زيد بن عمرو، فما همَّ أن يدخل فى دين ولا اتبع كتابًا، واعتزل الأوثان والذبائح[1] والميتة والدم، ونهى عن قتل الموؤدة وقال: أعبد رب إبراهيم وصرح بعيب آلهتهم، وكان يقول: «اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك لعبدتك ولكن لا أعلم» ثم يسجد على راحته، وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب: «يا رسول الله استغفر الله لزيد بن عمرو» قال: «نعم؛ إنه يبعث أمة وحده»[2].

ثم تحدّث الكهان والحزاة،[3] قبل النبوة وأنها كائنة فى العرب، وأن ملكهم سيظهر، وتحدّث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما فى التوراة والإنجيل من بعث محمد ﷺ وأمته.

[**أصحاب الفيل**] وظهرت كرامة الله بقريش ومكة فى أصحاب الفيل إرهاصًا[4] بين يدى مبعثه.

ثم ذهب مُلكُ الحبشة من اليمن على يدى ابن ذى يزن من بقية التبابعة، ووفد عليه عبد المطلب يهنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدى الحبشة، فبشره ابن ذى يزن بظهور نبى من العرب، وأنه من ولده، فى قصة معروفة. وتحيَّن الأمر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه، ونفروا إلى الرهبان والأحبار من أهل الكتاب يسألونهم ببلدتهم علم ذلك؛ مثل أمية بن أبى الصَّلْت الشقى وما وقع له فى سفره إلى الشام مع أبى سفيان بن حرب، وسؤاله الرهبان، ومفاوضته أبا سفيان فيما وقف عليه من ذلك، يظن أن الأمر له أو لأشراف قريش من بنى عبد مناف حتى تبين لهما خلاف ذلك، فى قصة معروفة.

ثم رُجمت الشياطين عن استماع خبر السماء فى أمره ﷺ، وأصغى الكون لاستماع أنبائه.

المولد الكريم وبدء الوحى

ثم ولد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشِرْوان،وقيل لثمان وأربعين، ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين[5]، وكان عبد الله أبوه غائبًا بالشام، وانصرف فهلك بالمدينة، وولد سيدنا رسول

(١) الذبائح هنا أى ما يذبح على الأصنام والنُصُب، فهى ليست لله.
(٢) ذكره ابن هشام فى السيرة ١ / ١٤٠ على لسان ابن إسحاق؛ وانظر فتح البارى ٨ /١٤٢-١٤٤.
(٣) الحزاة: جمع حازى، وحذّاء وهو الكاهن، ويقال حزا الشيء حَزْوا أى قدّره تخمينًا.
(٤) الإرهاص: حدث عظيم يمهد لحدث أعظم منه، ﴿ ألم تر كيف فعل ربّكُ بأصحاب الفيل.. ﴾..
(٥) المقصود بذى القرنين هنا الإسكندر الأكبر المقدونى.

الله ﷺ بعد مهلكه بأشهر قلائل، وقيل غير ذلك.

وكفله جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكفالة الله من ورائه، والتمس له المراضع، واسترضع في بني سعد من بني هوازن، ثم[1] في بني نصر بن سعد، أرضعته منهم حليمة[2] بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شجنة بن رِزَام بن ناضرة بن خصفة بن قيس. وكان ظئره[3] منهم الحارث بن عبد العزى، وقد مرّ ذكرهما في بني عامر ابن صعصعة.

[**حادثة شق الصدر الشريف**] وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله، ولما كان من حديث رسول الله ﷺ شق الملكين بطنه، واستخراج العلقة السوداء من قلبه، وغسلهم حشاه وقلبه بالثلج ما كان- وذلك لرابعة من مولده، وهو خلف البيوت يرعى الغنم- فرجع إلى البيت منتقع اللون. وظهرت حليمة على شأنه، فخافت أن يكون أصابه شيء من اللمم، فرجعته إلى أمه، واسترابت آمنة برجعها إياه بعد حرصها على كفالته، فأخبرتها الخبر، فقالت: «كلا والله لست أخشى عليه»، وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيراً. وآزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة أخوال جده عبد المطلب من بني عدي بن النَّجَّار بالمدينة، وكانوا أخوالاً لها أيضاً. وهلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته، وعهد به إلى ابنه أبي طالب، فأحسن ولايته وكفالته.

[**النبي ﷺ في صباه**] وكان شأنه في رضاعه وشبابه ومرباه [وأحواله][4] عجباً، وتولى حفظه وكلاءته من مفارقة أحوال الجاهلية، وعصمته من التلبس بشيء منها، حتى لقد ثبت أنه مرّ بعرس مع شبّان قريش، فلما دخل على القوم أصابه غشي النوم، فما أفاق حتى طلعت الشمس، وافترقوا. ووقع له ذلك أكثر من مرة. وحمل الحجارة مع عمه العباس لبنيان الكعبة، وهما صبيان، فأشار عليه العباس بحملها في إزاره، فوضعه على عاتقه وحمل الحجارة فيه، وانكشف، فلما حملها على عاتقه سقط مغشيًا عليه،

(١) «ثم» هنا لتحديد النَّسَب.

(٢) في نسب السيدة حليمة عدة ملاحظات:

- يختلف النسب هنا عما هو عليه في جمهرة الأنساب ٢٦٥ بعد الجد شجنه.
- الحرث تكتب هكذا وتقرأ الحارث كهارون وهرون.
- الجد (رزام) في هـ (رزاح)، وما هو مثبت هو الصواب، انظر الإصابة ٧ / ٥٨٤.

(٣) الظئر: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً.

(٤) زيادة أثبتها محقق النسخة م من نسخة الشنقيطي.

ثم عاد فسقط، فاشتمل إزاره، وحمل الحجارة كما كان يحملها[١].

وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه فى شئونهم كلها.

[**بحيرا الراهب**] وحمله عمه أبو طالب إلى الشام، وهو ابن ثلاث عشرة، وقيل ابن سبع عشرة، فمروا ببحيرا[٢] الراهب عند بُصْرَى[٣]، فعاين الغمامة تُظله، والشجر تسجد له، فدعا القوم وأخبرهم بنبوَّته، وبكثير من شأنه، فى قصة مشهورة.

[**زواجه من السيدة خديجة**] ثم خرج ثانية إلى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى مع غلامها ميْسَرَة، ومَرُّو بنسطورا الراهب، فرأى ملكين يظلانه من الشمس، فأخبر ميسرةَ بشأنه، فأخبر بذلك خديجة، فعرضت نفسها عليه، وجاء أبو طالب فخطبها إلى أبيها، فزوَّجه، وحضر الملأ من قريش.

وقام أبو طالب خطيباً فقال: «الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وضئضئ[٤] معد، وعنصر مضر، وجعل لنا بيتا محجوجاً وحرماً آمنا، وجعلنا أمناء بيته، وسُوَّاس حَرَمه، وجعلنا الحكام على الناس. وإن ابن أخى محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته، وهو لا يوزن بأحد إلا رجح به، فإن كان فى المال قُلٌّ؛ فإن المال ظل زائل، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل». ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، وذلك بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة.

[**بناء الكعبة**] وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين من مولده، حين أجمع كل قريش على هدمها وبنائها، ولما انتهوا إلى الحجَر [الأسود]، تنازعوا أيهم يضعه، وتداعوا للقتال، وتحالف بنو عبد الدار على الموت، ثم اجتمعوا وتشاوروا، وقال أبو أمية: حكِّمُوا أول داخل من باب المسجد. فتراضوا على ذلك، ودخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، وبذلك كانوا يسمونه، فتراضوا به، وحكَّموه، فبسط ثوباً ووضع فيه الحجر، وأعطى قريشاً أطراف الثوب، فرفعوه حتى أدنوه من مكانه، ووضعه عليه السلام بيده،

---

(١) جاء ذكر هذه الحادثة مرة فى البخارى وهم يبنون الكعبة، ومرة أخرى فى كتب السيرة وهو يلعب مع الصبيان.

(٢) بحيرا (بكسر الباء وفتح الحاء) من علماء النصارى وقيل كان من نصارى عبد القيس؛ وقال السهيلى وابن حجر العسقلانى: وقع فى سيرة الزهرى أن بَحيرا كان حَبْراً من أحبار يهود تيماء.

(٣) بُصْرَى: مدينة بأطراف الشام من ناحية شبه جزيرة العرب.

(٤) الضئضئ: الأصل.

وكانوا أربعة: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم، وقيس بن عدى السَّهمى.

ثم استمر على أكمل الزكاء والطهارة فى أخلاقه، وكان يعرف بالأمين، وظهرت كرامة الله فيه. وكان إذا أبعد فى الخلاء لا يمر بحجر ولا شجر إلا ويسلِّم عليه[1].

بدء الوحى

ثم بُدئ بالرؤيا الصالحة؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم تحدث الناس بشأن ظهوره ونبوته، ثم حُببت إليه العبادة والخلوة بها، فكان يتزود للانفراد، حتى جاء الوحى بحراء لأربعين سنة من مولده، وقيل لثلاث وأربعين، وهى حالة يغيب فيها عن جلسائه، وهو كائن معهم، فأحيانًا يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه، ويعى قوله، وأحيانًا يلقى عليه القول، وتصيبه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط[2] والعرق وتصببه، كما ورد فى الصحيح من أخباره. قال:

« .. وهُو أشَدُّ عَلَىَّ، فَيَفْصِم[3] عَنِّى، وَقَدْ وعَيْتُ مَا قَالَ، وأحيَانًا يَتَمَثَّل لِى المَلَكُ رَجلاً، فَيُكَلِّمُنِى، فَأعِى مَا يَقُولُ»[4] فأصابته تلك الحالة بغار حراء، وأُلقى عليه:﴿ اقرأ باسم ربِّكَ الذى خلَقَ خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَق، اقرَأ وَرَبُّكَ الأكرَمُ الذى عَلَّمَ بالْقَلَم علَّم الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾ وأخبر بذلك كما وقع فى الصحيح، وآمنت به خديجة وصدَّقته، وحفظت عليه الشأن.

[**فرض الصلاة**] ثم خوطب بالصلاة، وأراه جبريل طهرها[5]، ثم صلى به، وأراه سائر أفعالها.

[**الإسراء والمعراج**] ثم كان شأن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ثم من الأرض إلى

---

(١) روى مسلم عن جابر بن سَمُرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن».

(٢) غطَّ فى نومه غطيطا إذا صات وردَّد النفس فى خياشيمه.

(٣) فَصَم عنه الوحى أى فارقه.

(٤) وتمام هذا الحديث فيما يرويه الشيخان: سئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال: «أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علىَّ، فيفصم عنى، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى، فأعى ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا».

(٥) أى علمه كيف يتوضأ.

السماء السابعة، وإلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وأوحى إليه ما أوحى.

[**إسلام علي بن أبي طالب**] ثم آمن به عليّ ابن عمه أبي طالب، وكان في كفالته من أزمة أصابت قريشًا، وكفل العباس جعفرًا أخاه، فجعفر أسنّ عيال أبي طالب(١)، فأدركه الإسلام وهو في كفالته، فآمن، وكان عليّ(٢) يصلي معه في الشعاب مختفيًا من أبيه، حتى إذا ظهر عليهما أبو طالب، دعاه رسول الله ﷺ، فقال: «لا أستطيع فراق ديني ودين آبائي، ولكن لا ينهض إليك شيء تكره ما بقيتُ» وقال لعليّ: «الزمه فإنه لا يدعو إلا لخير».

[**أول من أسلم**] فكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، ثم أبو بكر وعلي بن أبي طالب كما ذكرنا، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وبلال بن حمامة مولى أبي بكر، ثم عمرو بن عَبَسة السُّلَمي، وخالد بن سعيد بن العاصي بن أمية، ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش، اختارهم الله لصحابته من سائر قومهم، وشهد ﷺ لكثير منهم بالجنة.

[**جهود أبي بكر في الدعوة**] وكان أبو بكر محبَّباً سهلاً، وكانت رجالات قريش تألفه، فأسلم على يديه من بني أمية عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أُمية، ومن عشيرة بني عمرو بن كعب بن سعد بن تيم: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو، ومن بني زُهرَة بن قُصَيّ: سعد بن أبي وقاص، واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة، ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد، وهو ابن صفيَّة عمة النبي ﷺ.

ثم أسلم من بني الحرث بن فهر: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث، ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص ابن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح، وأخواه قُدَامة [وعبد

---

(١) هذا خطأ، والصواب أن جعفر ترتيبه الثالث في أولاد أبي طالب الذكور. يقول المصعب الزبيري في نسب قريش له ص٣٩: وولد أبو طالب: طالبًا وعقيلاً وجعفرًا وعليًا، بين كل واحد عشر سنين؛ وانظر أيضًا عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص٤٧.
(٢) (عليّ) رأيت إضافتها منعًا للبس.

الله][١]، ومن بنى عدى: سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن عدى[٢]، وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن نفيل، وأبوه زيد هو الذى رفض الأوثان فى الجاهلية، ودان بالتوحيد، وأخبر ﷺ أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

ثم أسلم عمير أخو سعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه ابن غافل ابن حبيب بن شمْخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مدركة حليف بنى زهرة، كان يرعى غنم عقبة بن أبى مُعَيْط، وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ حلب من غنمه شاة حائلاً فدرَّت.

ثم أسلم جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب، وامرأته أسماء[٣] بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافَة الخثعمى، والسائب بن عثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، واسمه مُهَشِّم، وعامر بن فُهَيْرة أزْدى، وفهيرة أُمه مولاة أبى بكر[٤]، [و] واقد بن عبد الله بن عبد مناف تميمى من حلفاء بنى عدى، وعمَّار بن ياسر عَنْسى من مَذحِج مولى أبى مخزوم، وصهيب بن سنان من بنى النمر بن قاسط حليف بنى جُدْعان. ودخل الناس فى الدين أرسالاً، وفشا الإسلام وهم يستخفون به[٥]، ويذهبون إلى الشعاب فيصلُّون.

[**الجهر بالدعوة**] ثم أُمر رسول الله ﷺ أن يصْدع بأمره، ويدعو إلى دينه، بعد ثلاث سنين من مبدأ الوحى، فصعد على الصَّفا ونادى «يا صَبَاحَاه» فاجتمعت إليه قريش، فقال: «لَو أخبرْتُكُمْ أنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحكم أو مُمَسِّيكُم أما كُنْتُم تُصَدِّقُوني؟» قالوا: «بَلَى»، قال: «فإنِّى نَذيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَى عَذَابٍ شَديد» ثم نزل قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) جاء فى الأصول وإخواه، وذكر أحدهما ولم يذكر الثانى وهو عبد الله، وقد ذكرهما ابن عائذ فى مغازيه فى مهاجرة الحبشة؛ فوجب إثباته.

(٢) وصحة نسب سعيد بن زيد: بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى.

(٣) نسب أسماء بنت عميس هنا مطابق لما جاء فى الإصابة (ترجمة رقم ١٠٣٨) فابقينا عليه مع مخالفته لما جاء فى جمهرة الأنساب ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) فُهَيْرة أم عامر، قد يفهم من سياق عبارة المؤلف أنهاأسلمت، ولكنى لم أجدها فى الصحابيات، كما أنها لم تكن مولاة لأبى بكر، وذلك لأن ابنها عامر كان للطفيل بن عبد الله بن سُخْبرة، فاشتراه منه أبو بكر واعتقه.

(٥) فى النسختين يتنحلون به: أى يدينون به. وأظن أنها من أخطاء النساخ، والأنسب يستخفون به، فتتناسب مع ما قبلها وما بعدها.

الأقْرَبِينَ﴾[1]

وتردد إليه الوحي بالنذارة[2]، فجمع بنى عبد المطلب – وهم يومئذ أربعون – على طعام صنعه لهم عليٌّ بن أبى طالب بأمره، ودعاهم إلى الاسلام، ورغَّبهم، وحذَّرهم، وسمعوا كلامه، وافترقوا.

[**عداوة قريش للدعوة**] ثم إن قريشًا حين صدع، وسبَّ الآلهة وعابها، نكروا ذلك منه[3]، ونابذوه، وأجمعوا على عداوته، فقام أبو طالب دونه محاميًا ومانعًا، ومشت إليه رجال قريش يدعونه إلى النصفة: عُتْبَة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو البخترى بن هاشم بن[4] الحرث بن أسد بن عبد العزى، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن أخى الوليد، والعاصى بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم، ونبيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر[5] بن حذيفة بن سعد بن سهم، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، فكلموا أبا طالب وعادوه، فردَّهم ردًا جميلا، ثم عادوا إليه فسألوه النصفة[6]، فدعا النبيَّ ﷺ إلى بيته بمحضرهم، وعرضوا عليه قولهم، فتلا عليهم القرآن، وأيأسهم من نفسه[7]، وقال لأبى طالب: «يا عماه لا أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه» واستعبر[8]، وظن أن أبا طالب بدا له فى أمره[9]، فرقَّ له أبو طالب، وقال: «يا ابن أخى، قل ما أحببت؛ فوالله لا أسلمك أبداً».

الهجرة إلى الحبشة

ثم افترق أمر قريش، وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبى طالب على القيام دون النبى ﷺ، ووثبت كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم، واشتد عليهم

---

(١) آية ٢١٤ سورة الشعراء.

(٢) النذارة: الإنذار والتخويف.

(٣) نكروا ذلك منه اى أنكروا عليه ما قال، وتصدوا له بالعداوة.

(٤) أبو البخترى اسمه العاصى، واختلف فى اسم والده، فقال ابن إسحاق اسمه هشام، وقال ابن هشام اسمه هاشم، ونميل إلى الأخذ بقول ابن هشام (انظر ٢ / ٧ الروض الأنف).

(٥) عامر فى هـ، م (على) والتصويب من الجمهرة ص ١٦٥.

(٦) النَّصَفَة: الإنصاف والعدل.

(٧) أيأسهم من نفسه: أكدّ لهم ثباته على دعواه.

(٨) استعبر: بكى.

(٩) اى ظن أن عمه أبا طالب تراجع عن موقفه وتخلى عن مساندته.

العـذاب، فـأمـرهـم النبى ﷺ بالهـجـرة إلى أرض الحبـشـة فـراراً بدينهـم، وكـان قـريش يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها. فخرج عثمان بن عفان وامرأته رُقَيّة بنت النبى ﷺ، وأبو حُذَيْفة بن عتبة بن ربيعة مراغمًا لأبيه، وامرأته سَهْلَة بنت سُهَيْل بن عمرو بن عامر بن لؤى، والزبير بن العوام، ومُصْعَب بن عُمَيْر بن عبد شمس، وأبو سَبْرَة بن أبى رُهْم بن عبد العزى العامرى من بنى عامر بن لؤى، وسُهَيْل بن بَيْضَاء[1] من بنى الحرث بن فِهْر، وعبد الله بن مسعود، وعامر بن ربيعة العَنْزى حليف بنى عدى، وهو من عنز بن وائل ليس من عنزة، وامرأته ليلى بنت أبى خَيْثَمَة، فهؤلاء الأحد عشر رجلاً كانوا أول من هاجر إلى أرض الحبشة، وتتابع المسلمون من بعد ذلك، ولحق بهم جعفر بن أبى طالب وغيره من المسلمين، وخرجت قريش فى آثار الأولين إلى البحر، فلم يدركوهم.

وقدمـوا إلى أرض الحبـشـة فكانوا بهـا، وتتـابع المسلمـون فى اللحـاق بهـم؛ يقـال إن المهاجرين إلى أرض الحبشة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً، فلما رأت قريش النبى ﷺ قد امتنع بعمه وعشيرته، وأنهم لا يسلمونه، طفقوا يرمونه عند الناس ممن يفد على مكة بالسحر والكهانة والجنون والشعر، يرومون بذلك صدَّهم عن الدخول فى دينه.

[المستهزؤن] ثم انتدب جماعة منهم لمجاهرته ﷺ بالعداوة والإذاية، منهم عمه أبو لَهَب عبد العُزَّى بن عبد المطلب، أحد المستهزئين، وابن عمه[2] أبو سُفيان بن الحَرث بن عَبْد المُطلب، وعُتبة وشَيْبَة ابنا ربيعة، وعُقبة بن أبى مُعَيْط أحد المستهزئين، وأبو سُفيان من المستهزئين[3]، والحكم بن أبى العاصى بن أمية من المستهزئين أيضًا، والنَّضْر بن الحرث من بنى عبد الدار، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وابنه زمعة، وأبو البخترى العاصى بن هاشم[4]، والأسْوَد بن عبد يَغُوث، وأبو جهل بن هشام، وأخوه العاصى، وعمهما الوَليد، وابن عمهم قَيْس بن الفاكه بن المُغيرَة، وزُهَير بن أبى أُمَيّة بن المغيرة، والعاصى بن وائل السهمى، وابنا عمه نُبَيه ومُنبِّه[5]، وأُمَيَّة وأبيّ ابنا خلف بن جُمَح.

وأقاموا يستهزءون بالنبى ﷺ، ويتعرضون له بالاستهزاء والإذاية حتى لقد كان

(١) سهل أمه البيضاء، وأبوه وهب بن ربيعة بن عمرو من بنى الحارث بن فهر القرشى.

(٢) أى ابن عم الرسول ﷺ.

(٣) لم أقف على المصدر الذى استقى منه شيخنا أن أبا سفيان . . . . . من المستهزئين فقد راجعت ابن هشام ١ /٢٥٨، السيرة الشامية ٢ /٦٠٥، أنساب الأشراف ١ /١٢٤، المحبر: ١٥٨ فلم أجده.

(٤) فى هـ، م (ابن هشام)، والصواب ما أثبته من جمهرة الأنساب: ١١٧.

(٥) نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

بعضهم ينال منه بيده، وبلغ عمَّه حمزة يومًا أن أبا جهل بن هشام تعرض له يومًا بمثل ذلك، وكان قوى الشكيمة، فلم ينشب أن جاء إلى المسجد، وأبو جهل فى نادى قريش، حتى وقف على رأسه، وضربه وشجَّه[1]، وقال له: تشتم محمداً وأنا على دينه؟ وثار رجال بنى مخزوم إليه فصدهم أبو جهل، وقال: دعوه؛ فإنى سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا، ومضى حمزة على إسلامه.

[**سفارة قريش إلى النجاشى**] وعلمت قريش أن جانب المسلمين قد اعتز بحمزة، فكفوا بعض الشرّ بمكانه فيهم، ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة إلى النجاشى ليسلم إليهم من هاجر إلى أرضه من المسلمين، فنكر النجاشى رسالتهما[2]، وردَّهما مقبوحين.

[**إسلام عمر بن الخطاب**] ثم أسلم عمر بن الخطاب، وكان سبب إسلامه أنه بلغه أن أخته فاطمة أسلمت مع زوجها سعيد ابن عمه زيد، وأن خَبَّاب بن الأرَت عندهما يُعلمهما القرآن، فجاء إليهما منكرًا وضرب أخته فشجها، فلما رأت الدم قالت: قد أسلمنا وتابعنا محمداً، فافعل ما بدا لك، وخرج إليه خباب من بعض زوايا البيت، فذكره ووعظه، وحضرته الإنابة، فقال له: اقرأ علىَّ من هذا القرآن، فقرأ من سورة طه، وأدركته الخشية فقال له: كيف تصنعون إذا أردتم الإسلام؟ فقالوا له، وأروه الطهور، ثم سأل على مكان النبى ﷺ، فدُلَّ عليه، فطرقهم فى مكانهم، وخرج إليه النبى ﷺ، فقال: ما لك يا بن الخطاب؟ فقال: يا رسول الله، جئتُ مسلمًا، ثم تشهَّد شهادة الحق، ودعاهم إلى الصلاة عند الكعبة، فخرجوا وصلوا هنالك، واعتز المسلمون بإسلامه.

وكان النبى ﷺ يقول فى دعائه: «اللهمَّ أعزَّ الإسلام بأحَد العُمَريْن» يعنيه أو أبا جهل[3].

[**سنوات الحصار**] ولما رأت قريش فشو الإسلام وظُهوره، أهمهم ذلك، فاجتمعوا وتعاقدوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألاّ يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى الكعبة، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم، فصاروا فى شعْب أبى طالب محصورين متجنبين، حاشا أبى لَهب، فإنه كان مع قريش على قومهم، فبقوا كذلك ثلاث سنين، لا يصل إليهم شىء

---

(١) شجه: شق جلد رأسه أو وجهه (المعجم الوسيط).

(٢) نكر رسالتهما: أنكر عليهما سفارتهما.

(٣) أبو جهل أحد العمريْن: فاسمه عمرو بن هشام، وكنيته كانت أبا الحكم، ولكن لما عارض دعوة الحق استحق أن يكنى بأبى جهل.

ممن أراد صلتهم إلا سرًّا، ورسولُ الله ﷺ مقبل على شأنه من الدعاء إلى الله، والوحي عليه متتابع.

[**نقض الصحيفة الظالمة**] إلى أن قام في نقض الصحيفة رجالٌ من قريش، كان أحسنهم في ذلك أثرًا هشام بن عمرو بن الحرث من بني حِسْل بن عامر بن لؤَي، لقي زُهَيرَ بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرةَ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فعيَّره بإسلامه أخواله(١) إلى ما هم فيه، فأجاب إلى نقض الصحيفة، ثم مضى إلى مُطْعِم بن عَدي بن نَوفَل بن عَبْد مَنَاف وذكر رحم هاشم والمطلب، ثم إلى أبي البَخْتَري بن هاشم(٢) وزَمْعة بن الأُسْوَد، فأجابوا كلهم، وقاموا في نقض الصحيفة، وقد بلغهم عن النبي ﷺ أن الصحيفة أكلت الأَرَضَةُ كتابتها كلها حاشا أسماء الله، فقاموا بأجمعهم، فوجدوها كما قال، فخُزُوا، ونُقض حكمها.

[**محاولة أبي بكر الهجرة**] ثم أجمع أبو بكر الهجرة، وخرج لذلك، فلقيه ابن الدُّغُنة(٣)، فردّه.

[**عودة بعض مهاجري الحبشة**] ثم اتصل بالمهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشًا قد أسلموا، فرجع إلى مكة قوم، منهم: عُثمان بن عفان وزوجته، وأبو حذيفة وامرأته، وعبد الله بن عتبة بن غزوان، والزُّبير بن العَوَّام: وعبد الرحمن بن عوف، ومُصْعَب بن عُمَيْر، وأخوه، والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم المؤمنين(٤)، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعمَّار بن ياسر، وبنو مظعون: عبد الله، وقدامة، وعُثمان، وابنه السائب، وخُنَيْس بن حُذَافة، وهشام بن العاصي، وعامر بن ربيعة، وامرأته، وعبد الله بن مخرمة من بني عامر بن لُؤَي، وعبد الله ابن سَهْل بن السَّكرَان بن عمرو، وسعد بن خولَة، وأبو عُبيْدة بن الجرَّاح، وسُهَيْل بن بَيْضاء، وعمرو بن أبي سَرْح. فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه من قريش من الصبر على أذاهم. ودخلوا إلى مكة، بعضهم مختفيًا، وبعضهم بالجوار، فأقاموا إلى أن كانت الهجرة إلى المدينة، بعد أن مات بعضهم بمكة.

[**عام الحزن**] ثم هَلك أبو طالب وخَديجة، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فعظمت

---

(١) إسلامه أخواله: التخلي عن معاضدة أخواله وتركهم إلى ما هم فيه من حصر ومشقة.

(٢) هاشم وليس هشام وقد تكرر.

(٣) ابن الدغنة أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، وقد ردّ أبا بكر وأدخله في جواره.

(٤) (أم المؤمنين) بما سيكون؛ فبعد ترملها من أبي سلمة تزوج بها النبي ﷺ.

المصيبة، وأقدم عليه سفهاء قريش بالإذاية والاستهزاء، وإلقاء القاذورة[1] فى مصلاه.

[**خروج النبى ﷺ إلى الطائف**] فخرج إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، والنصرة والمعونة، وجلس إلى عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْر، وأخويه مسعود وحبيب، وهم يومئذ سادات ثقيف وأشرافهم، وكلمهم، فأساءوا الرد، ويئس منهم، فأوصاهم بالكتمان، فلم يقبلوا، وأغروا به سفهاءهم، فاتبعوه حتى ألجأوه إلى حائط[2] عُتبة وشَيْبة ابنى ربيعة، فأوى إلى ظله حتى اطمأن، ثم رفع طرفه إلى السماء يدعو: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت ربى، إلى من تكلنى: إلى بغيض[3] يتجهمنى أو إلى عدو ملَّكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أبالى، ولكن عافيتُك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

[**إسلام نفر من الجن**] ولما انصرف من الطائف إلى مكة، بات بنخلة، وقام يصلى من جوف الليل، فمر به نفر من الجن، وسمعوا القرآن[4].

[**النبى ﷺ فى جوار مُطْعِم بن عدى**] ثم دخل رسول الله ﷺ إلى مكة فى جوار المطعم بن عدى بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش، فاعتذروا بما قبله منهم.

[**إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى**] ثم قدم عليه الطفيل بن عمرو الدوسى فأسلم، ودعا قومه فأسلم بعضهم، ودعا له رسول الله ﷺ أن يجعل الله له علامة للهداية، فجعل فى وجهه نوراً، ثم دعا له فنقله إلى سوطه؛ وكان يعرف بذى النور.

[**الإسراء وفرض الصلاة**] قال ابن حزم: «ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، ولقى من لقى من الأنبياء، ورأى جنة المأوى، وسدرة المنتهى فى السماء السادسة[5]، وفرضت الصلاة فى تلك الليلة».

وعند الطبرى: الإسراء وفرض الصلاة كان أول الوحى.

[**النبى يعرض نفسه على القبائل**] ثم كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على وفود

---

(١) القاذورة: الوسخ. (٢) حائط: بستان.

(٣) فى هـ، م إلى بغيض، والتصويب من ابن هشام ٢ / ٢٦٥.

(٤) فقص الله خبرهم على النبى ﷺ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف ٢٩-٣١]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ سورة الجن.

(٥) وهذا على قول ابن مسعود فى مسلم، بينما هى من حديث أنس المرفوع فى السابعة.. وعليه قيل: إن أصل ساقها فى السادسة، وأغصانها وفروعها فى السابعة.

العرب فى الموسم، يأتيهم فى منازلهم ليعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن، وقريش مع ذلك يتعرضونهم بالمقابح إن قبلوا منه، وأكثرهم فى ذلك أبو لهب. وكان من الذين عرض عليهم فى الموسم: بنو عامر بن صَعصَعَة من مضر، وبنو شيبان، وبنو حنيفة من ربيعة، وكِنْدة من قحطان، وكلْب من قُضاعة، وغيرهم من قبائل العرب، فكان منهم من يحسن الاستماع والعذر، ومنهم من يُعرض ويصرِّح بالإذاية، ومنهم من يشترط الملك الذى ليس هو من سبيله[١]، فيرد ﷺ الأمر إلى الله، ولم يكن فيهم أقبح رداً من بنى حنيفة. وقد ذخر الله الخير فى ذلك كله للأنصار، فقدم سُوَيْد بن الصامت أخو بنى عَمْرو بن عَوف بن الأوس، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يُبعد ولم يُجب، وانصرف إلى المدينة فقُتل فى بعض حروبهم، وذلك قبل بُعاث[٢]، ثم قدم بمكة أبو الحيْسَر أنس بن رافع فى فتية من قومه من بنى عبد الأشهل - يطلبون الحلف[٣]، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال إياس بن مُعاذ منهم، وكان شاباً حدثًا: هذا والله خير مما جئنا له، فانتهره أبو الحيْسَر، فسكت، ثم انصرفوا إلى بلادهم ولم يتم لهم الحلف، ومات إياس، فيقال إنه مات مُسلماً.

[**بدء إسلام الأنصار**] ثم إن رسول الله ﷺ لقى عند العقبة فى الموسم ستةَ نفر من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق[٤] بن مالك بن غضبة بن جُشَم بن الخزرج، وقطبة بن عامر بن حديدة[٥] بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن سادرة[٦] بن تزيد[٧] بن جُشم، وعقبة بن عامر بن نابى بن

---

(١) فقد قال له بنو صعصعة: نحن إذا بايعناك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «إن الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» فقالوا: لا حاجة لنا بأمرك.

(٢) بُعاث: موضع على بعد ميلين من المدينة، حيث دارت معركة بين الأوس والخزرج، وهى على أصح الأقوال كانت قبل الهجرة بخمس سنين.

(٣) بنو عبد الأشهل بن الأوس جاءوا يطلبون الحلف مع قريش ضد قومهم من الخزرج.

(٤) فى هـ (بن زيد) والتصويب من ابن هشام ١ / ٢٧١، والإصابة ترجمة رقم ٢٥٤٦.

(٥) فى هـ (طبقة) وصوابها قُطبة، و(ابن حيدرة) وصوابها ابن حديدة، والتصويب من الإصابة ترجمة رقم ٧١٢٣.

(٦) سادرة بدلا من (مراد) فى هـ، م والتصويب من ابن هشام ٢ / ٢٧٣.

(٧) تزيد فى هـ (يزيد) والتصويب من ابن هشام ٢ / ٢٧٣.

زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن (كعب) بن(١) سلمة، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن نعمان بن سنان(٢) بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وكان من صنع الله لهم أن اليهود جيرانهم كانوا يقولون: إن نبيًا يبعث وقد أظل زمانه. فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبى الذى تحدثكم به اليهود، فلا يسبقونا إليه. فآمنوا وأسلموا، وقالوا: «إنا قد قدّمنا فيهم حروبا فننصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا يكون أحد أعز منك». فانصرفوا إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر النبى ﷺ.

[**بيعة العقبة الأولى**] حتى إذا كان العام القابل قدم مكةَ من الأنصار اثنا عشر رجلا، منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم، ما عدا جابر بن عبد الله فإنه لم يحضرها، وسبعةٌ من غيرهم، وهم: مُعاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور، وقيل إنه ابن عفراء، وذكوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مَخْلد بن عامر بن زُرَيق، وعُبادة بن الصامت(٣) بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة، وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة بن غصينة(٤) من بنى بَلِى، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد(٥) بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف، هؤلاء عشرة من الخزرج. ومن الأوس أبو الهيثم مالك بن التيْهان، وهو من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر بن مالك بن أوس، وعويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف ابن مالك من الأوس بن حارثة، فبايع هؤلاء رسولَ الله ﷺ عند العقبة على بيعة النساء(٦)، وذلك قبل أن يفرض الحرب - على الطاعة لرسول الله ﷺ، وعلى أن لا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يفتروا الكذب.

---

(١) (بن كعب) زيادة من جمهرة الأنساب ٣٥٩.

(٢) سنان، وكانت فى هـ، م سلمة والتصويب من ابن هشام ٢٧٢ والإصابة ١ / ٤٣٣.

(٣) فى هـ تداخل اسم يزيد بن ثعلبة وآبائه فى آباء عبادة بن الصامت كأنهم شخص واحد، كما هناك سقط فى نسب يزيد، فاستكملنا السقط وأعدنا ترتيب الأسماء حسب ما جاء فى ابن هشام ١ / ٢٧٢.

(٤) ابن غصينة، وجاء فى م ابن عصيبة، وفى هـ ابن عصينه، والتصويب من ابن هشام ١ / ٢٧٢.

(٥) رزيق فى م والصواب زيد، الجمهرة ٣٥٣، وابن هشام ٢٧٢.

(٦) تتشابه بنود هذه البيعة مع بنود بيعة النساء التى بايعت فيها النساء بعد فتح مكة، فليست فيها مبايعة على القتال؛ وذلك لأن الجهاد لم يكن قد فرض بعد.

[**فشو الإسلام في المدينة**] فلما حان انصرافهم بعث رسولُ الله ﷺ ابنَ أم مكتوم ومُصعب بن عُمير يدعوهم إلى الإسلام، ويُعلِّم من أسلم منهم القرآن والشرائع، فنزل بالمدينة على أسعد بن زُرارة، وكان مصعب يَؤُمُّهم، وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار،وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابني الخالة، فجاء سعد بن معاذ وأُسَيد بن الحُضَيْر إلى أسعد بن زرارة وكان جاراً لبنى عبد الأشهل فأنكروا عليه، فهداهما الله إلى الإسلام، وأسلم بإسلامهما جميع بنى عبد الأشهل فى يوم واحد؛ الرجال والنساء، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بنى أمية بن زيد، وخَطْمة ووائل وواقف، بطون من الأوس، وكانوا فى عوالى المدينة، فأسلم منهم قوم، سيدهم أبو قيس صيفى بن الأسلت الشاعر، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان الخندق فأسلموا كلهم.

العقبة الثانية

[**بيعة العقبة الثانية**] ثم رجع مصعب- المذكور - ابن عمير إلى مكة وخرج معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار للقاء النبى ﷺ فى جملة قوم منهم لم يسلموا بعد، فوافوا مكة وواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، ووافوا ليلة ميعادهم إلى العقبة متسللين عن رحالهم سراً ممن حضر من كفار قومهم، وحضر معهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أبو جابر، وأسلم تلك الليلة، فبايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم[1]، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه. وحضر العباس ابن عبد المطلب وكان على دين قومه بعد، وإنما توثق للنبى ﷺ، وكان للبراء بن معرور فى تلك الليلة المقام المحمود فى الإخلاص والتوثق لرسول الله ﷺ، وكان أول من بايع، وكانت عدّة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين. واختار منهم رسول الله ﷺ اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم: «أنتم كُفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى».

فمن الخزرج من أهل العقبة الأولى: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن

---

(١) أزرهم: أصولهم.

مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وعبد الله بن رواحة (بن ثعلبة)[1] بن امرئ القيس، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة[2] والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة. وثلاثة من الأوس وهم: أسيدبن حُضَيْر بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن الأوس، ورفاعة (بن)[3] عبد المنذر بن زبير[4] بن زيد بن أمية بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس «وقد قُدِّم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا». والله أعلم.

ولما تمت هذه البيعة أمرهم رسول الله ﷺ بالرجوع إلى رحالهم فرجعوا، ونمى الخبر إلى قريش فغدت الجلة منهم على الأنصار فى رحالهم فعاتبوهم، فأنكروا ذلك وحلفوا لهم، وقال لهم عبد الله بن أُبَىّ بن سلول: ما كان قومى ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه. فانصرفوا عنه، وتفرق الناس من منًى، وعلمت قريش صحة الخبر، فخرجوا فى طلبهم، فأدركوا سعد بن عبادة، فجاءوا به إلى مكة يضربونه ويجرّونه بشعره، حتى نادى بجبير ابن مطعم والحرث بن أمية وكان يجيرهما ببلده، فخلّصاه مما كان فيه، وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحًا يصيح ليلاً على جبل أبى قُبَيْس:

فإن يُسلم السعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلافَ مخالف

فقال أبو سفيان: «السعدان سعد بكر وسعد هُذَيم» فلما كان فى الليلة القابلة سمعوه يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرًا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنَّيا على الله فى الفردوس منية عارف

فإن ثوابَ الله لطالب الهُدَى جنانٌ من الفردوس ذات رفارف

(١) ما بين قوسين إضافة من ابن هشام ١ / ٢٨٠.

(٢) فى هـ جاء نسب سعد بن عبادة حتى دليم بن حارثة سليماً، ثم أضاف إليه من آباء المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ما بعد حارثة.. ثم أسقط اسم النقيب التاسع من الخزرج وهو المنذر ابن عمرو بن خنيس؛ فأبقينا على نسب سعد بن عبادة حتى حارثة ثم أثبتنا نسب المنذر كما جاء فى ابن هشام ١ / ٢٨٠.

(٣) (بن) ما بين قوسين من ابن هشام ١ / ٢٨٠.

(٤) زبير وهى في هـ و م «زيد»، والتصويب من ابن هشام ١ / ٢٨٠. وفى أسد الغابة (زنبر).

فقال: هما والله سعد بن عُبادة وسعد بن معاذ!

ولما فشا الإسلام بالمدينة وطفق أهلها يأتون رسولَ الله ﷺ بمكة، تعاقدت على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم، فأصابهم من ذلك جهدٌ شديد، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدينُ كلُّه لله ﴾[1].

[**أول المهاجرين إلى المدينة**] فلما تمت بيعة الأنصار على ما وصفناه، أمر رسول الله ﷺ أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً. وأول من خرج أبو سلمة ابن عبد الأسد ونزل فى قُبا. ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بامرأته ليلى بنت أبى خيثمة بن غانم. ثم هاجر جميع بنى جحش من بنى أسد بن خزيمة ونزلوا بقبا. ثم عكاشة بن محْصن، وجماعة من بنى أسد حلفاء بنى أمية، كانت فيهم زينب بنت جحش أم المؤمنين[2] وأختاها حمنة وأم حبيبة.

ثم هاجر عمر بن الخطاب وعيّاش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبًا، فنزلوا فى العوالى فى بنى أمية بن زيد[3]، وكان يصلى بهم سالم مولى أبى حذيفة. وجاء أبو جهل بن هشام فخادع عياش بن أبى ربيعة ورده إلى مكة، فحبسوه حتى تخلص بعد حين ورجع. وهاجر مع عمر أخوه زيد، وسعيد بن عمه زيد، وصهره على بنته حفصة أم المؤمنين[4] خنيس بن حذافة السهمى، وجماعة من حلفاء بنى عدى نزلوا بقبا على رفاعة بن عبد المنذر من بنى عوف بن عمرو، ثم هاجر طلحة بن عبيد الله فنزل هو وصُهيْب بن سنان على حبيب بن إساف فى بنى الحرث بن الخزرج بالسنح[5]، وقيل بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وحليفه: أبو مَرثَد كناز بن حصن الغنوى، فنزلوا فى بنى عمرو بن عوف بقبا على كلثوم بن

---

(١) يفهم من كلام المؤلف أن الآية نزلت فى مكة، وهذا مخالف للواقع فالآية ٣٩ من سورة الانفال، وجميع آيات سورة الانفال مدنية. كما أن أول آيه نزلت فى القتال الآية ٣٩ سورة الحج فقد روى عن ابن عباس أن النبى ﷺ لما خرج من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون! ليهلُكن. فأنزل الله تعالى ﴿ **أذن للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير** ﴾ قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. خرجه الترمذى وآخرون، ثم نزلت بعد ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...** ﴾ الآية احكام القرآن لابن العربى المعافرى: ٣/ ١٢٩٥ - ١٢٩٨.

(٢) سماها أم المؤمنين لما كان بعد.

(٣) بنو أمية بن زيد بطن من الأوس بخلاف بنى أمية بن حرب من قريش.

(٤) سماها أم المؤمنين لما سيكون بعد من زواجها من النبى ﷺ. (٥) السُنْح من عوالى المدينة.

الهدم، ونزل جماعة من بنى المطلب بن عبد مناف فيهم مِسْطح بن أُثاثة ومعه خبّاب بن الأرت مولى عتبة بن غزوان فى بنى المسحلان بقبا، ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع فى بنى الحرث بن الخزرج، ونزل الزبير بن العوام وأبو سَبرة ابن أبى رُهْم بن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة الجلاح فى دار بنى جَحْجبا، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ فى بنى عبد الأشهل، ونزل أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة بن غزوان المازنى على عباد بن بشر من بنى عبد الأشهل، ولم يكن سالم عتيق أبى حذيفة وإنما أعتقته امرأة من الأوس كانت زوجًا لأبى حذيفة اسمها ثُبَيْتة بنت يعار[1]، فتبناه ونُسب إليه، ونزل عثمان بن عفان فى بنى النجار على أوس أخى حسان بن ثابت. ولم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعلى بن أبى طالب؛ فإنهما أقاما بأمره، وكان ﷺ ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة.

الهجـــرة

[**مؤامرة قريش**] ولما علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم، وأنه مجمع على اللحاق بهم، وأن أصحابه من المهاجرين سبقوه إليهم، تشاوروا ما يصنعون فى أمره، واجتمعت لذلك مشيختهم فى دار الندوة: عُتبة وشيبة وأبو سفيان من بنى أمية، وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بنى نوفل، والنضر بن الحارث من بنى عبد الدار، وأبو جهل من بنى مخزوم، ونبيه ومنبِّه ابنا الحجاج من بنى سهم، وأمية بن خلف من بنى جمح، ومعهم من لايعد من قريش، فتشاوروا فى حبسه أو إخراجه عنهم، ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شابًا جلدًا، فيقتلونه جميعًا، فيتفرق دمه فى القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم، واستعدوا لذلك من ليلتهم.

وجاء الوحى بذلك إلى النبى ﷺ، فلما رأى رُصَّادَهم[2] على باب منزله، أمر عليًّ بن أبى طالب أن ينام على فراشه ويتوشح ببرده، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم، فطمس الله تعالى على أبصارهم، ووضع على رؤوسهم ترابًا، وأقاموا طول ليلهم.

---

(١) فى هـ: نبيشة، وفى اسم أبيها معاذ، والصواب ما أثبته، وقيل إن اسم أبيها تعار بالتاء (انظر الاستيعاب ٤/١٧٩٨).

(٢) فى هـ أرصدهم، وفى م أرصادهم والذى اخترناه من المعجم الوسيط رُصّادهم، والراصد الرقيب، والجمع رصد، ورصاد.

فلما أصبحوا خرج إليهم عليٌّ، فعلموا أن النبى ﷺ قد نجا. وتواعد رسول الله ﷺ مع أبى بكر الصديق، واستأجر عبدَ الله بن أريقط الدؤلى(١) من بنى بكر بن عبد مناة ليدل بهما إلى المدينة، وينكب عن الطريق العظمى(٢)، وكان كافراً وحليفاً للعاصى بن وائل، لكنهما وثقا بأمره، وكان دليلاً بالطرق.

[**الرحلة الميمونة**] وخرج رسول الله ﷺ من خوخة(٣) فى ظهر دار أبى بكر ليلاً، وأتيا الغار الذى فى جبل ثور(٤) بأسفل مكة فدخلا فيه، وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما بالأخبار، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمة يريح غنمه عليهما ليلاً ليأخذا حاجتهما من لبنها، وأسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام، ويُقَفِّى(٥)عامرُ بالغنم أثرَ عبد الله.

ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف(٦)، فقاف الأثرَ حتى وقف عند الغار وقال: هنا انقطع الأثر! وإذا بنسج العنكبوت على فم الغار، فاطمأنوا إلى ذلك ورجعوا، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّهما عليهم، ثم أتاهما عبد الله بن أريقط بعد ثلاث براحلتيهما، فركبا، وأردف أبو بكر عامرَ بن فهيرة، وأتتهما أسماء بسفرة لهما وشقت نطاقها وربطت السفرة، فسميت ذات النطاقين. وحمل أبو بكرجميع ماله نحو ستة آلاف درهم.

[**سراقة بن مالك يطارد الركب**] ومرّوا بسراقة بن مالك بن جُعشم فاتبعهم ليردَّهم. ولما رأوه دعا عليه رسولُ الله ﷺ فساخت قوائم فرسه فى الارض، فنادى بالأمان وأن يقفوا له، وطلب من النبى أن يكتب له كتاباً، فكتبه أبو بكر بأمره. وسلك الدليل من أسفل مكة على الساحل أسفل من عُسْفان وأمج، وأجاز قُدَيْدا إلى العَرْج، ثم إلى قُبا من عوالى المدينة، ووردوها قريباً من الزوال يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول.

[**استقبال الأنصار للنبى ﷺ**] وخرج الأنصار يتلقونه، وقد كانوا ينتظرونه حتى إذا قلصت الظلال رجعوا إلى بيوتهم، فتلقوه مع أبى بكر فى ظل نخل، ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خَيْثمة، وقيل على كلثوم بن الهِدْم، ونزل أبو بكر بالسُّنْح فى بنى

---

(١) الدؤلى هو هو الديلى.

(٢) الطريق العظمى: المألوفة، وينكب عنها: يبتعد عنها إلى الطرق الوعرة المجهولة.

(٣) الخوخة: كوة فى البيت لدخول الضوء، والخوخة أيضا باب صغير وهى المقصودة هنا.

(٤) غار ثور فى جنوب مكة زيادة فى التمويه فليس على الطريق إلى المدينة.

(٥) تقفى: تتبع ومحا.

(٦) القائف: الذى يقتفى الأثر.

الحرث بن خزرج على خُبَيْب بن أسد، وقيل على خارجة بن زيد، ولحق بهم عليٌ رضى الله عنه من مكة بعد أن رد الودائع للناس التى كانت عند النبى ﷺ، فنزل معه بقباء، وأقام رسول الله ﷺ هنالك أياماً.

[**الجمعة فى بنى سالم**] ثم نهض لما أمر الله، وأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاَّها فى المسجد هنالك.

[**دعوها فإنها مأمورة**] ورغّب إليه رجال بنى سالم أن يقيم عندهم، وتبادروا إلى خطام ناقته اغتناماً لبركته، فقال عليه السلام: خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة، ثم مشى والأنصار حواليه إلى أن مرّ بدار بنى بياضة، فتبادر إليه رجالهم يبتدرون خطام الناقة، فقال: دعوها فإنها مأمورة، ثم مر بدار بنى ساعدة فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، ودَعْوه كذلك، وقال لهم مثل ما قاله للآخرين، ثم إلى دار بنى حارثة بن الخزرج فتلقاه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رواحة. ثم مر ببنى عدى ابن النجار أخوال(١) عبد المطلب ففعلوا، وقال لهم مثل ذلك، إلى أن أتى دارَ بنى مالك بن النجار، فبركت ناقتُه على باب مسجده اليوم، وهو يومئذ لغلامين منهم فى حجر معاذ بن عفراء اسمهما سهل وسهيل، وفيه خرب ونخل وقبور للمشركين ومربد(٢)، ثم بركت الناقة، وبقى على ظهرها ولم ينزل، فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها، ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مكانها الاول فبركت واستقرت، ونزل رسول الله ﷺ عنها، وحمل أبو أيوب رَحْلَه إلى داره، فنزل عليه.

[**بناء المسجد النبوى**] وسأل عن المربد وأراد أن يتخذه مسجداً، فاشتراه من بنى النجار بعد أن وهبوه إياه، فأبى من قبوله، ثم أمر بالقبور فنبشت، وبالنخل فقطعت، وبنى المسجد باللبن، وجعل عضادتيه الحجارة، وسواريه جذوع النخل، وسقفه الجريد، وعمل فيه المسلمون حسبةً لله عز وجل.

[**موادعة يهود**] ثم وادع اليهودَ وكتب بينه وبينهم كتابَ صلحٍ وموادعة، شرط فيه لهم وعليهم.

ثم مات أسعدُ بن زُرارة وكان نقيباً لبنى النجار، فطلبوا إقامة نقيب مكانه، فقال: أنا

(١) كان هاشم بن عبد مناف قد تزوج سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى عدى بن النجار الخزرجى فولدت له شيبة الحمد الذى غلب عليه اسم عبد المطلب.

(٢) المِرْبد: مكان يجفف فيه التمر.

نقيبكم، ولم يخص بها منهم آخرَ دون آخر، فكانت من مناقبهم.

ثم لما رجع عبد الله بن أريقط إلى مكة أخبر عبدَ الله بن أبى بكر بمكانه، فخرج ومعه عائشة أخته وأمها أم رومان ومعهم طلحة بن عبيد الله فقدموا المدينة، وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر، وبنى بها فى منزل أبى بكر بالسُّنح، وبعث رسول الله ﷺ أبا رافع (وزيد بن حارثة)[1] إلى بناته وزوجته سَوْدَة بنت زمعة فحملاهن إليه من مكة، وبلغ الخبر بموت أبى أحيحة والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل من مشيخة قريش.

[**المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار**] ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل، وبين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من بنى سالم، وبين أبى عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن[2] سلامة بن وقش، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخى حسان، وبين سعيد بن زيد وأُبىّ بن كعب، وبين مصعب بن عمير وأبى أيوب، وبين أبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش من بنى عبد الأشهل، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسى حليف بنى عبد الأشهل، وقيل بل ثابت بن قيس بن شمَّاس، وبين أبى ذر الغفارى[3] والمنذر بن عمرو من بنى ساعدة، وبين حاطب بن أبى بَلْتَعة حليف بنى أسد بن عبد العزى وعوَيْم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف، وبين سَلْمَان الفارسى وأبى الدرداء عويمر بن[4] ثعلبة من بنى

---

(١) ما بين القوسين إضافة لا بد منها لتستقيم صياغة العبارة مع فحملاهن، والمصدر كتب السيرة العطرة.

(٢) فى هـ، م (سلمة) موافقًا للإصابة ٣ / ١٤٨ وعيون الأثر ١ / ٢٤٣ بخلاف ابن هشام الذى ذكر: سلامة بن سلامة بن وقش ٢ / ٣٢١.

(٣) هكذا فى ابن هشام ٢ / ٣٢١؛ وقد انكر الواقدى محمد بن عمر ذلك وقال: «كيف يؤاخى بينهما وابو ذر كان غائبًا عن المدينة ذلك الوقت، ولم يقدم إلا بعد بدر، وقد قطعت بدرُ المؤاخاة ونسخها قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الاحزاب: ٦].. وما يردّ ذلك ان المؤاخاة استمرت بعد بدر فالنبى ﷺ آخى بين الحتات بن يزيد ومعاوية بن أبى سفيان، والمعروف ان معاوية من مسلمة الفتح، أما بخصوص الآية الكريمة فإنها الغت التوريث بين المتآخين فى الله؛ ويقول الواقدى: إن المؤاخاة كانت بين المنذر بن عمرو وطليب بن عمير، وقيل ابن عمر.. انظر الإصابة ٣ / ٥٤٠.

(٤) فى هـ جاءت العبارة: وأبى الدرداء وعمير بن بلتعة. والتصويب من م، انظر ابن هشام ٢ / ٣٢١.

الحرث بن الخزرج، وبين بلال بن حمامة وأبي رُوَيحة الخثعمي.

[**فرض الزكاة**] ثم فرضت الزكاة، ويقال: وزيدَ في صلاة الحاضر ركعتين فصارت أربعًا بعد أن كانت ركعتين سفرًا وحضرًا، ثم أسلم عبد الله بن سلام، وكفر جمهور اليهود.

[**المنافقون ومسجد الضِّرار**] وظهر من الأوس والخزرج منافقون، يظهرون الإسلام مراعاة لقومهم من الأنصار ويسرون الكفرَ. وكان رءوسهم من الخزرج عبد الله بن أُبَي بن سلول، والجد بن قيس، ومن الأوس الحرث بن (سويد)[1] بن الصامت، وعباد بن حُنَيْف، ومرْبع بن قَيْظي، وأخوه أوس[2] من أهل مسجد الضرار، وكان قومٌ من اليهود أيضًا تعوَّذوا بالإسلام وهم يبطنون الكفر، منهم سعد بن حنيف[3]، وزيد بن اللُّصَيت ورافع بن حريملة[4]، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وكنانة بن صوريا[5].

[غزواته ﷺ]

الأبواء:

ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبيّ ﷺ المدينة، خرج في مائتين من أصحابه يريد قريشًا وبني ضَمْرَة، واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة، فبلغ وَدَّان والأبواء، ولم يلقهم، واعترضه مَخْشِيّ بن عمرو سيد بني ضمرة بن عبد مَنَاة بن كنانة وسأله موادعة قومه، فعقد له، ورجع إلى المدينة ولم يلق حربًا، وهي أولُ غزاة غزاها بنفسه، وتسمى

(١) في هـ، م الحارث بن سهيل، والصواب ما أثبته من ابن هشام ٢ / ٣٣٠. وفي نفاق الحارث بن سويد نظر؛ فقد شهد أحداً ولم يشهدها منافق، وحكايته أنه قتل يوم أحد الصحابي المجذر قاتل أبيه سويد يوم بعاث، ولم يعرف بذلك أحد حتى جاء النبي ﷺ إلى قومه بني عمرو بن عوف وأمر بضرب عنقه. فسأل لمَ؟ فقال النبي ﷺ: لقتلك المجذر، فاقسم أنه لم يقتله نفاقًا ولا شكًا في دينه وقال: ولكنى قتلته لما رأيت قاتل أبي لم اتمالك أن قتلته، ومد عنقه للقصاص. فاقتص منه رسول الله ﷺ (الإصابة: ١ / ٥٧٧، والجمهرة ٣٣٧).

(٢) أوس بن قيظي: ذكره ابن حجر في الصحابة ١ / ١٥٩، وقال إنه شهد أحداً وابناه عرابة وعبد الله، وقال: ويقال إن أوس بن قيظي كان منافقًا، وإنه الذى قال «إن بيوتنا عورة» يوم الخندق.

(٣) سعد بن حنيس هكذا جاءت في هـ، م، والتصويب من ابن هشام: ٢ / ٣٣٦.

(٤) في هـ، م رافع بن خزيمة، والتصويب من ابن هشام ٢ / ٣٣٦.

(٥) في هـ، م كنانة بن خبورا والتصويب من ابن هشام ٢ / ٣٣٦.

بالأبْوَاء، وبوَدان، المكانان اللذان انتهى إليهما، وهما متقاربان بنحو ستة أميال، وكان صاحب اللواء فيها حَمْزة بن عبد المطلب.

بُوَاط:

ثم بلغه أن عير قريش نحو ألفين وخمسمائة فيها أُمَيَّة بن خَلف ومائة رجل من قريش ذاهبة إلى مكة، فخرج فى ربيع الآخر لاعتراضها، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون[1]، وقال الطبرى: سعدَ بن معاذ، فانتهى إلى بُوَاط، ولم يلقهم ورجع إلى المدينة.

العُشَيْرة:

ثم خرج فى جمادى الأولى غازيًا قريشًا، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فسلك عن جانب من الطريق إلى أن لقى الطريقَ بصُخَيْرات اليَمام إلى العُشَيْرَة من بطن ينبُع، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية، ووادع بنى مدلج، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حربًا.

بدر الأولى:

وأقام بعد العُشَيْرة نحو عشر ليال، ثم أغار كُرْز بن جابر الفهرى على سَرْح المدينة، فخرج فى طلبه حتى بلغ ناحية بدر، وفاته كرز، فرجع (إلى)[2] المدينة.

البعوث:

وفى هذه الغزوات كلها غزا بنفسه، وبعث فيما بينها بعوثًا نذكرها:

فمنها بعث حمزة بعد الأبواء، بعثه فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين إلى سيف البحر فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب من أهل مكة، فحجَز بينهم مجْدى بن عَمْرو[3] الجُهَنى، ولم يكن قتال.

---

(١) هكذا فى ابن هشام ٢ / ٣٩٥ بينما السهيلي في الروض الأنف: ٣ / ٢٧ يقول: إنه السائب بن مظعون عم السائب بن عثمان بن مظعون.

(٢) (إلى) إضافة من هـ.

(٣) فى هـ: عدى بن حجر، والصواب ما أثبته من ابن هشام ٣ / ٣٩٣.

ومنها بعث عبيدة بن الحرث بن المطلب فى ستين راكبًا وثمانين من المهاجرين، فبلغ ثنية المُرَار، ولقى بها جمعًا عظيمًا من قريش كان عليهم عكرمة بن أبى جهل، وقيل مكْرَز بن حفص بن الاخيف، ولم يكن بينهم قتال، وكان مع الكفار يومئذ من المسلمين المقْداد بن عمرو وعتبة بن غزوان، خرجا مع الكفار ليجدا السبيل إلى اللحاق بالنبى ﷺ، فهربا إلى المسلمين وجاءا معهم، وكان بعث حمزة وعبيدة متقاربين، واختلف أيهما كان قبل، إلا أنهما أول راية عقدها رسول الله ﷺ(١). وقال الطبرى: إن بعث حمزة كان قبل وَدان فى شوال لسبعة أشهر من الهجرة.

ومنها بعث سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين، يطلب كرز بن جابر حين أغار على سرح المدينة(٢)، فبلغ الخَرّار(٣) ورجع.

ومنها بعث عبد الله بن جحش مرجعه من بدر الأولى فى شهر رجب، بعثه بثمانية من المهاجرين، وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محْصن من بنى(٤) أسد بن خزيمة، وعتبة بن غزوان من بنى(٤) مازن بن منصور، وسعد بن أبى وقاص، وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى، وواقد بن عبد الله من بنى(٤) زيد مناة بن تميم، وخالد بن البكير من بنى(٤) سعد بن ليث، وسهيل بن بَيْضاء من فهر بن مالك، وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ولا يُكره أحدًا من أصحابه(٥)، فلما قرأ

---

(١) ويحسم ابن إسحاق هذا الخلاف بقوله: إن رسول الله ﷺ قد شيعهما جميعًا (أى معًا) فاشكل ذلك على بعض الناس.

(٢) كان الهدف من بعث سعد هو اعتراض عير لقريش، ولم يكن الهدف مطاردة كرز بن جابر لإغارته على سرح المدينة، وقد قام بهذا رسول الله ﷺ فيما يعرف ببدر الأولى وقد سبق بيانه.. وهذه المعلومة محل الاعتراض جاء بها شيخنا ابن خلدون من سيرة ابن حزم وقد ذكر: .. وقيل إنه إنما بعثه رسول الله ﷺ فى طلب كرز بن جابر. اهـ.

(٣) الخرّار: قال الزبير: هو وادى الحجاز يصب على الجحفة وإليه انتهى سعد (معجم ما استعجم) وقد جاء فى هـ: المرار، والصواب ما أثبته.

(٤) فى نسب عكاشة بن محصن: محصن أبوه أما أسد بن خزيمة فجدجده، فآثرنا أن نثبت (من بنى) بدلاً من (ابن) حتى تتضح الصلة بين عكاشة وأسد (إصابة ٤/ ٥٣٣) وهكذا فعلنا فيمن جاء بعده كعتبة بن غزوان (جمهرة الأنساب ٢٦٠)،وواقد بن عبد الله (إصابة ٦/ ٥٩٤)، وخالد بن البكير (إصابة ٢/ ٢٢٧).

(٥) أى لا يكرههم على المضى معه.

الكتاب بعد يومين وجد فيه «أن تمضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف وترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم»، فأخبر أصحابه، وقال: حتى ننزل النخلة بين مكة والطائف، ومن أحب الشهادة فلينهض، ولا أستكره أحداً. فمضوا كلهم، وضل لسعد ابن أبي وقاص وعتبة بن غَزْوان في بعض الطريق بعير لهما كانا يعتقبانه[1]، فتخلفا في طلبه، ونفر الباقون إلى نخلة، فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيْسان مولاهم، وذلك آخر يوم من رجب، فتشاور المسلمون، وتحرَّج بعضهم الشهر الحرام، ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم، فرمى واقد بن عبد الله عمرَو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل، وقدموا بالعير والأسيرين، وقد أخرجوا الخمس فعزلوه، فأنكر النبيّ ﷺ فعلهم ذلك في الشهر الحرام، فسقط في أيديهم، ثم أنزل الله تعالى ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾ الآية إلى قوله: ﴿**حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾[2]. فسرى عنهم، وقبض النبيّ ﷺ الخمس، وقسم الغنيمة، وقبل الفداء في الأسيرين، وأسلم الحكم بن كَيْسَان منهما، ورجع سعد وعتبة سالمين إلى المدينة. وهذه أول غنيمة غُنمت في الإسلام، وأول غنيمة خُمست في الإسلام، وقتلُ عمرو بن الحضرمي هو الذي هيج وقعة بدر الثانية.

صرف القبلة:

ثم صُرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة، خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الأنصار، فقام فصلى ركعتين إلى الكعبة. قاله ابن حزم[3]. وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً. وقيل ستة عشر. ولم يُقل غير ذلك.

[غزوة بدر العظمى] أو بدر الثانية:

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إلى رمضان من السنة الثانية ثم بلغه أن عيراً لقريش فيها

---

(١) يعتقبانه: يتعاقبان على ركوبه.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) ذكره ابن حزم في جوامع السيرة له، قال: إن أول من صلى نحو الكعبة أبو سعيد بن المُعَلَّى الأنصاري، سمع رسول الله ﷺ يأمربتحويل القبلة فصلى ركعتين إلى الكعبة.

أموال عظيمة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش، عميدهم أبو سفيان، ومعه عمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل، فندب عليه السلام المسلمين إلى هذه العير، وأمر من كان ظهره حاضرًا بالخروج[1]، ولم يحتفل في الحشد لأنه لم يظن قتالاً، واتصل خروجه بأبي سفيان فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاري وبعثه إلى أهل مكة يستنفرهم لعيرهم، فنفروا وأوعبوا[2] - إلا يسيراً - منهم أبو لَهب.

وخرج ﷺ لثمان خلون من رمضان، واستخلف على الصلاة عمرو[3] بن أم مَكْتُوم، وردّ أبا لُبَابة من الروحاء، واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عمير، ودفع إلى عليّ رايةً، وإلى رجل من الأنصار أخرى، يقال كانتا سوداوين.

وكان مع أصحابه ﷺ يومئذ سبعون بعيرًا يعتقبونها فقط، وجعل على الساقة قيسَ بن أبي صَعْصَعة من بني النجار، وراية الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ، فسلكوا نقب المدينة إلى ذي الحُلَيْفَة، ثم انتهوا إلى صُخَيرْات يمام، ثم إلى بئر الروحاء، ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق إلى الصّفراء.

وبعث عليه السلام قبلها بَسْبَس[4] بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة، وعدى ابن أبي الزَّغْباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتجسسون أخبار أبي سفيان وغيره، ثم تنكب عن الصفراء يمينًا، وخرج على وادى ذَفِرَان[5]، فبلغه خروج قريش ونفيرهم، فاستشار أصحابه، فتكلم المهاجرون وأحسنوا، وهو يريد ما يقوله الأنصار، وفهموا ذلك، فتكلم سعد بن معاذ، وكان فيما قال: «لو استعرضتَ بنا هذا البحر لخضناه معك، فسرْ بنا يا رسول الله على بركة الله» فَسُرّ بذلك، وقال: «سيروا وأبْشِروا فإن الله قد وعدني إحدى الطّائفتين» ثم ارتحلوا من ذفران إلى قريب من بدر.

وبعث عليا والزبير وسعداً[6] في نفر يلتمسون الخبر، فأصابوا غلامين لقريش، فأتوا بهما وهو عليه السلام قائم يصلي، وقالوا نحن سقاة قريش، فكذَّبوهما كراهيةً في الخبر، ورجاء أن يكونا من العير للغنيمة وقلة المؤنة، فجعلوا يضربونهما، فيقولان نحن من

---

(١) أي أن دابته موجودة عنده وليست في السرح فليركبها ويخرج معنا.

(٢) أوعبوا: أي خرجوا أجمعين.

(٣) واسمه عبد الله بن أم مكتوم أيضاً.

(٤) بَسْبَس، وفيه بَسْبَسة.

(٥) في هـ وقدان بالدال والقاف، والصواب بالذال والفاء (معجم ما استعجم).

(٦) ابن أبي وقاص.

العير، فسلم رسول الله ﷺ، وأنكر عليهم، وقال للغلامين: «أخبراني أين قريش» فأخبراه أنهم وراء الكثيب، وأنهم ينحرون يومًا عشرًا من الإبل ويومًا تسعًا، فقال عليه السلام: القوم بين التسعمائة والألف، وقد كان بسبسٌ وعديٌّ الجُهنيان مضيا يتجسسان الأخبار حتى نزلا وأناخا قرب الماء واستقيا فى شنٍّ لهما، ومجدى بن عمرو من جهينة بقربهما، فسمع عَدِيٌّ جاريةً من جوارى الحى تقول لصاحبتها: العير تأتى غداً أو بعد غد، وأعمل لهم، وأقضيك الذى لك، وجاءت إلى مجدى بن عمرو فصدقها، فرجع بسبس وعدى بالخبر.

وجاء أبو سفيان بعدهما يتجسس الخبر، فقال لمجدى: هل أحسست أحدًا؟ فقال: راكبين أناخا يميلان لهذا التل فاستقيا الماء ونهضا. فأتى أبو سفيان مُناخهما، وفتت من أبعار رواحلهما، فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع سريعًا وقد حذر، وتنكب بالعير إلى طريق الساحل، فنجا.

وأوصى إلى قريش بأنَّا قد نجونا بالعير فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِدَ ماء بدر، ونقيم به ثلاثًا، وتهابنا العرب أبدًا! ورجع الأخْنَس بن شريق بجميع بنى زهرة، وكان حليفهم ومطاعًا فيهم، وقال: إنما خرجتم تمنعون أموالكم، وقد نجت فارجعوا. وكان بنو عدى لم ينفروا مع القوم، فلم يشهد بدراً من قريش عَدَوِىٌّ ولا زُهْرِىٌّ.

وسبق رسولُ الله ﷺ قريشًا إلى ماء بدر، وثبطهم عنه مطر نزل وبَلَّه مما يليهم، وأصاب مما يلى المسلمين دَهْس الوادى[1]، وأعانهم على السير، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فقال له الحُبَاب بن المنذر بن عمرو بن الجموح «آلله أنزلك بهذا المنزل فلا نتحوَّل عنه أم قصدت الحرب والمكيدة؟» فقال عليه السلام: «لا بل هو الرأى والحرب» فقال «يا رسول الله ليس هذا بمنزل، وإنما نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ونبنى عليه حوضًا فنملؤه ونغوِّر القُلُب[2] كلها، فنكون قد منعناهم الماء» فاستحسنه رسول الله ﷺ، ثم بنوا له عريشًا يكون فيه رسول الله ﷺ حتى يأتيه من ربه

---

(١) دهس الوادى: المكان اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين، أى متماسك فى غير وحل، فلا يعوق الحركة.

(٢) القُلُب مفردها قَلِيب وهى البئر القديمة.

النصر، ومشى يريهم مصارع القوم واحداً واحداً.

ولما نزلت قريش مما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجُمَحي يحزر لهم أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم فارسان[1]: الزبير والمقداد، فحزرهم وانصرف، وخبَّرهم الخبر، ورام حكيمُ بن حزام وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب، فأبى أبو جهل، وساعده المشركون، وتواقفت الفئتان.

وعدّل رسول الله ﷺ الصفوف بيده، ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر وحده، وطفق يدعو ويلح وأبو بكر يقاوله[2]، ويقول فى دعائه: «اللَّهُمَّ إنْ تهْلك هذه العصابة لا تُعبد فى الأرض؛ اللهم أنجز لى ما وعدتنى» وسعد بن معاذ وقوم معه من الأنصار على باب العريش يحمونه، وأخفق رسول الله ﷺ ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله». ثم خرج يحرض الناس، ورمى فى وجوه القوم بحفنة من حصى وهو يقول: «شاهت الوجوه».

ثم تزاحفوا فخرج عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد يطلبون البراز، فخرج إليهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فقتل حمزةُ وعليٌّ شيبة والوليد، وضرب عتبةُ عبيدةَ فقطع رجله، فمات، وجاء حمزة وعلى إلى عتبة فقتلاه، وقد كان برز إليهم عوف ومُعَوِّذ ابنا عفْراء وعبد الله بن رواحة من الأنصار فأبوا إلا قومهم، وجال القوم جولة فهُزِم المشركون، وقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً.

[**من مشاهير قتلى قريش**] فمن مشاهيرهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وحنظلة بن أبى سفيان بن حرب، وابنا سعيد بن العاصى: عبيدة والعاصى، والحرث بن عامر بن نوفل، وابن عمه طعيمة بن عدى، وزَمْعَة بن الأسود، وابنه الحرث، وأخوه عَقيل بن الأسود، وابن عمه أبو البَخْترى بن هاشم[3]، ونوفل بن خُوَيْلد بن أسد، وأبو جهل

---

(١) عدد خيل المسلمين يوم بدر فيه خلاف: عدهم ابن حزم وغيره فرسين، وجعلهم ابن هشام ٢/٤٤٦ ثلاثة بإضافة فرس لمرثد بن أبى مرثد الغنوى، ويقول ابن حجر فى ترجمة المقداد (الإصابة: ٦/٢٠٢): كان فارسًا يوم بدر، حتى أنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره.

(٢) يقاوله: يفاوضه ويجادله؛ وكان النبى ﷺ يلح فى الدعاء، وأبو بكر يقول له مشفقًا عليه: يا نبى الله كفاك تناشد ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، حسبك يا رسول الله لقد ألحتت على ربك. ومن أحاديثه ﷺ: الدعاء عبادة. وإن الله يحب الملحين فى الدعاء.

(٣) الصحيح: ابن هاشم، وفى هـ، م ابن هشام وقد سبق الكلام فيه.

بن هشام، اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء، ووجده عبد الله بن مسعود وبه رمق فحزّ رأسه، وأخوه العاصى بن هشام، وابن عمهما مسعود بن أمية، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وابن عمه : أبو قيس بن الفَاكه، ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجاج، والعاصى بن منبه، وأمية بن خلف، وابنه على، وعمير بن عثمان عم طلحة.

[**من أسرى قريش**] وأُسر العباس بن عبد المطلب وعَقيل بن أبى طالب، ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب، والسائب بن (عبيد بن)[1] عبد يزيد من بنى المطلب، وعمرو بن أبى سفيان بن حرب، وأبو العاصى بن الربيع، وخالد بن أسيد بن أبى العيص، وعدى بن الخِيار من بنى نوفل، وعثمان بن عبد شمس ابن عمّ عتبة بن غزوان، وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير، وخالد بن هشام بن المغيرة، وابن عمه رفاعة بن أبى رفاعة[2]، وأمية بن أبى حذيفة بن المغيرة، والوليد بن الوليد أخو خالد، وعبد الله وعمرو ابنا أُبيّ بن خلف، وسهيْل بن عمرو، فى آخرين مذكورين فى كتب السير.

[**شهداء بدر**] واستشهد من المسلمين: من المهاجرين: عُبيدة بن الحارث بن المطلب وعُمير بن أبى وقاص، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضلة الخزاعى حليف بنى زهرة، وصفوان بن بيضاء من بنى الحرث بن فهر، ومِهْجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أصابه سهم فقتله، وعاقل بن البُكَير الليثى حليف بنى عدى. من الأنصار. ثم من الأوْس: سعد بن خيْثمة ومبشر بن عبد المنذر. ومن الخزرج: يزيد ابن الحارث (من بنى الحارث)[3] بن الخزرج وعمير بن الُحمام من بنى سلمة، سمع رسول الله ﷺ يحض على الجهاد ويرغب فى الجنة وفى يده تمرات يأكلهن، فقال: «بخ بخ أما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء؟!»، ثم رمى بهن، وقاتل حتى قتل، ورافع بن المُعَلّى من بنى حبيب بن عبد حارثة، وحارثة بن سُرَاقة من بنى النجار، وعوف ومُعَوّذ ابنا عفراء.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من نسب السائب فى هـ، م، والإضافة من ابن هشام ٣ / ٣.

(٢) رفاعة بن أبى رفاعة لم أقف عليه فى كتب السيرة المتاحة لى على كثرتها، ثم وجدته فى جمهرة الأنساب: ١٤٣ من بين قتلى بدر، وليس من بين الأسرى كما ذكر شيخنا ابن خلدون.

(٣) زيادة من النسخة: م.

ثم انجلت الحرب، وأمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين فسُحبوا إلى القليب، وطم(١) عليهم التراب، وجعل على النفل(٢) عبد الله بن كعب بن عمرو بن مبذول(٣) بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار.

ثم انصرف إلى المدينة، فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر الله، وضرب عنق النضْر بن الحرث بن كَلَدة من بنى عبد الدار.

ثم نزل عرق الظُّبْيَة فضرب عنق عقبة بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أمية وكان فى الأُسارى. ومرّ إلى المدينة فدخلها لثمان بقين من رمضان.

[غزوة الكُدْر](٤):

وبلغ رسول الله ﷺ بعد رجوعه إلى المدينة اجتماع غَطَفان، فخرج يريد بنى سُلَيم بعد سبع ليال من منصرفه، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفارى، أو ابن أم مكتوم، فبلغ ماءً يقال له الكدر، وأقام عليه ثلاثة أيام، ثم انصرف ولم يلق حربًا. وقيل إنه أصاب من نعمهم ورجع بالغنيمة، وإنه بعث غالب بن عبد الله الليثى فى سرية فنالوا منهم، وانصرفوا بالغنيمة، وأقام رسول الله ﷺ إلى ذى الحجة(٥)، وفدى رسول الله ﷺ أكثر أسارى بدر.

[غزوة] السويق(٦):

ثم إن أبا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة، فخرج فى مائتى راكب حتى أتى بنى النضير ليلاً، فتوارى عنه حُيَيّ بن أخطب، ولقيه سلام بن مِشكم، وقراه(٧)

---

(١) طمّ: غطى وعمّ.

(٢) فى نسخة النفل، وفى الأخرى الثقل، وكلاهما معناه الغنيمة. يقول الطبرى: وكان عبد الله بن كعب على ثقل غنائم بدر.

(٣) مبذول بالذال وليس بالدال كما فى هـ؛ ونسب عبد الله بن كعب فى الجمهرة: ٣٥٢، وفى الإصابة ٤ /٢١٨ بزيادة عوف قبل مبذول.

(٤) كما تسمى غزوة بنى سليم بالكدر، وأيضًا قرقرة الكدر، والكدر ماء لهم.

(٥) أى اقام ﷺ بالمدينة إلى ذى الحجة.

(٦) السَّويق: قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيزدرد، ويستف تارة بما يُثرى به: بسمن أو بعسل، أو بهما، وسمى سَويقًا لانسياقه فى الحلق.

(٧) قام بواجب الضيافة، والقِرى الطعام والشراب للضيف.

وأعلمه بخبر الناس، ثم رجع ومر بأطراف المدينة فحرق نخلاً وقتل رجلين في حرث لهما، فنفر رسول الله ﷺ والمسلمون، واستعمل على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، وبلغ الكُدْر، وفاته أبو سفيان والمشركون، وقد طرحوا السويق من أزوادهم ليتخففوا فأخذها المسلمون، فسميت لذلك غزوة السويق، وكانت في ذي حجة بعد بَدْر بشهرين.

[غزوة] ذي أَمَرّ:

ثم خرج رسول الله ﷺ في شهر المحرم غازيًا غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفَّان، فاقام بنجد صَفر، وانصرف ولم يلق حربًا.

[غزوة] بُحْرَان(١):

ثم خرج رسول الله ﷺ آخر ربيع الأول يريد قريشًا، واستخلف ابنَ أم مكتوم، فبلغ بحران معدنًا في الحجاز، ولم يلق حربًا، وأقام هنالك إلى جمادى الثانية من السنة الثالثة، وانصرف إلى المدينة.

قتلُ كعب بن الأشرف:

وكان كعب بن الأشرف رجلاً من طيئ وأُمّه من يهود بني النضير، ولما أصيب أصحاب بدر وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة مُبَشّرين إلى المدينة، جعل يقول: «ويلكم أحق هذا؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس! وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها». ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبي وَدَاعة السهمي، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أُمية، فجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبّب(٢) بعاتكة، ثم شبب بنساء المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: ومن يقتل كعب بن الأشرف؟ فانتدب لذلك محمد بن مَسْلمة وسِلْكان(٣) بن سلامة بن وَقْش، وهو أبو نائلة من بني عبد الأشهل أخو كعب من الرضاعة، وعَبّاد بن بشر بن وقْش،

---

(١) بُحْران بضم اوله او فتحه، كما تسمى غزوة الفُرْع من بحران.

(٢) قال فيها غزلاً ووصف حسنها.

(٣) سلْكان بالسين وليس بالميم كما في هـ؛ وفي الاستيعاب: سلكان لقب له واسمه سعد والتصويب من (الإصابة: ٧/٤٠٩).

والحرث[١] بن بشر بن معاذ، وأبو عبس بن جبر من بنى حارثة، وتقدم إليه سلكان بن سلامة، وأظهر له انحرافاً عن النبى ﷺ (عن إذن منه)، وشكا إليه ضيق الحال، ورام أن يبيعه وأصحابه طعاماً ويرهنون سلاحهم، فأجاب إلى ذلك، ورجع إلى أصحابه، فخرجوا، وشيعهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد فى ليلة قمراء، وأتوا كعباً فخرج إليهم من حصنه، ومشوا غير بعيد، ثم وضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمد بن مسلمة مِعْولاً[٢] كان معه فى ثُنته[٣] فقتله، وصاح عدو الله صيحة شديدة انذعر لها أهل الحصون التى حواليه، وأوقدوا النيران، ونجا القوم، وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم فنزفه الدم وتأخر، ثم وافاهم بحرة العريض آخر الليل، وأتوا النبى ﷺ وهو يصلى، وأخبروه، وتفل على جرح الحرث فبرأ. وأذن للمسلمين فى قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة، وأسلم حينئذ حويصة بن مسعود، وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم[٤].

غزوة بنى قَيْنُقاع:

وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله ﷺ من بدر وقف بسوق بنى قينقاع فى بعض الأيام، فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره فى كتابهم، وحذرهم ما أصاب قريشاً من البطشة فأساءوا الرد وقالوا: لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبت منهم، والله لئن جربتنا لتعلمن أنا نحن الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ** ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وقيل بل قتل مسلم يهودياً بسوقهم فى حق، فثاروا على المسلمين، ونقضوا العهد ونزلت الآية، فسار إليهم رسول الله ﷺ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وقيل[٥] أبا لبابة. وكانوا فى طرف المدينة فى سبعمائة مقاتل، منهم ثلثمائة دارع، ولم يكن لهم زرع ولا نخل، إنما كانوا تجاراً وصاغة يعملون

---

(١) جاء فى نسب الحارث فى هـ، م أن أباه: بشر بن معاذ وهذا خطأ، والصواب أوس بن معاذ، والتصويب من جوامع السير لابن حزم.

(٢) معول جاء فى هـ بالعين (وهى الفأس العظيمة؛ وفى م بالغين وهو سوط فى داخله سيف، وهو ما نرجحه.

(٣) الثنة فى الإنسان أسفل البطن ما تحت السرة.

(٤) فقد شاهد حويصه أخاه يقتل يهودياً، فقال له مؤنباً: بعض ما فى بطنك من خير هذا الرجل، فقال محيصة: الذى أمرنى بقتله لو أمرنى بقتلك لقتلتك.. فاستغربها حويصه من أخيه، ثم أعمل فيها عقله.. ثم ما لبث أن قال: هذا هو الدين؛ وأسلم.

(٥) بشير بن المنذر: كنيته أبو لبابة، فلا حاجة (لقيل) هنا.

بأموالهم، وهم قوم عبد الله بن سلام، فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحداً منهم حتى نزلوا على حكمه، فكتفهم ليقتلوا، فشفع فيهم عبد الله بن أُبى ابن سلول، وألح فى الرغبة، حتى حقن له رسول الله ﷺ دماءهم. ثم أمر بإجلائهم، وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع، وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم إلى ظاهر ديارهم، ولحقوا بخيبر، وأخذ رسول الله ﷺ الخُمس من الغنائم، وهو أول خمس أخذه. ثم انصرف إلى المدينة، وحضر الأضحى، فصلى بالناس فى الصحراء وذبح بيده شاتين، ويقال إنهما أول أضحيته ﷺ.

سرية زيد بن حارثة إلى قَرْدَة:

وكانت قريش من بعد بدر قد تخوفوا من اعتراض المسلمين عيرهم فى طريق الشام، وصاروا يسلكون طريق العراق، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية، واستجاروا بفرات بن حيان من بكر بن وائل، فخرج بهم فى الشتاء، وسلك بهم على طريق العراق، وانتهى خبر العير إلى النبى ﷺ وما فيها من المال وآنية الفضة، فبعث زيد بن حارثة فى سرية فاعترضهم وظفر بالعير، وأتى بفرات بن حيان العجلى أسيراً، فتعوذ بالإسلام وأسلم، وكان خُمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً.

قتل ابن أبى الحُقَيْق:

كان سلام بن أبى الحقيق هذا من يهود خيبر، وكنيته أبو رافع، وكان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويحزب عليهم الأحزاب مثل أو قريباً من كعب بن الأشرف، وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين فى طاعة رسول الله ﷺ والذب عنه والنيل من أعدائه، لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من ذلك إلا فعل الآخرون مثله.

وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف كما ذكرناه، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل ابن أبى الحقيق، نظير ابن الأشرف فى الكفر والعداوة، فأذن لهم، فخرج إليهم من الخزرج ثم من بنى سلمة خمسة[1]، هم[2] عبد الله بن عتيك[3]، ومسْعَر بن سنان، وأبو قتادة[4] الحرث بن رِبْعى، والخزاعى بن الأسود من حلفائهم، وعبد الله بن

(١) فى الأصول ثمانية نفر، والتصويب من الطبرى دار المعارف تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/٤٩٦. (٢) غيرناها إلى هم بعد أن كانت منهم.

(٣) فى هـ، م عقيل والتصويب من الطبرى ٢/٤٩٦ وغيره.

(٤) ذكر ابن خلدون أبا قتادة مجرداً فى هـ، م، وأخذ بقية اسمه وخلطه باسم من بعده، فكانت عبارته: وأبو قتادة، والحارث بن ربعى الخزاعى من حلفائهم فى آخرين، فصوبنا الاسمين، وبدلاً من آخرين أثبتنا اسم خامس الرجال: عبد الله بن أنيس.

أنيس، وأمَّر عليهم عبد الله بن عقيل[١]، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، وخرجوا فى منتصف جمادى الآخرة من سنة ثلاث، فقدموا خيبر، وأتوا دار ابن أبى الحقيق فى علية له بعد أن انصرف عنه سمره ونام، وقد أغلقوا الأبواب من حيث أفضوا كلها عليهم، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته، ثم تعاوروه[٢] بسيوفهم حتى قتلوه، وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهره حتى قام الناعى على سور القصر، فاستيقنوا موته، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر، وكان أحدهم قد سقط من درج العلية فأصابه كسر فى ساقه، فمسح عليه رسول الله ﷺ وبرأ.

غزوة أُحُد:

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد تآمروا، وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله ﷺ فاعانوهم، وخرجت قريش بأحابيشها[٣] وحلفائها، وذلك فى شوال من سنة ثلاث، واحتملوا الظُّعُن[٤] التماساً للحفيظة وأن لا يفروا، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السَّبْخة مقابل المدينة على شفير واد هنالك، وذلك فى رابع شوال، وكانوا فى ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس، وقائدهم أبو سفيان، ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر.

وأشار ﷺ على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا، وإن جاءوا قاتلوهم على أفواه الأزقة. وأقر ذلك على رأى عبد الله بن أبى ابن سلول[٥]، وألح قوم من فضلاء المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة (فى الخروج للعدو)[٦]، فلبس لامته وخرج، وقدم أولئك الذين ألحوا عليه وقالوا: يا رسول الله إن شئت فاقعد. فقال: «ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته[٧] أن يضعها حتى يقاتل» وخرج فى ألف من أصحابه، واستعمل ابن أم

---

(١) عاد فذكر عقيل بدلاً من عتيك. (٢) تعاوروه: تبادلوا ضربه.

(٣) قيل إنهم من السودان أو من العرب استأجرهم أشراف قريش ليكونوا لهم يداً فى السلم والحرب، وهم من بنى الهون بن خزيمة (عضل وديش والقارة) ومن بطنين من خزاعة هما الحيا والمصطلق. وقال البعض إنهم جيش خاص لحماية تجارة قريش. وقيل فى تسميتهم: نسبة إلى جبل بأسفل مكة اسمه حُبْشِيّ تحالفوا عنده، وقال حماد الراوية: سموا كذلك لاجتماعهم، لأن التجمع فى كلام العرب التحبش (التاريخ السياسى لعبد المنعم ماجد، ومعارف ابن قتيبة، ونسب قريش).

(٤) الظعينة: المرأة والجمع ظعائن وظُعُن وأظعان.

(٥) أى أن هذا رأى النبى ﷺ، ووافقه فى الرأى ابن سلول.

(٦) إضافة لا بد منها.

(٧) اللأمة: الدرع، وقد يسمى السلاح كله لأمة.

مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة.

فلما سار بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أُبَيّ فى ثلث الناس مغاضباً لمخالفة رأيه فى المقام[1]. وسلكَ رسولُ الله ﷺ حَرّة بنى حارثة ومر بين الحوائط، وأبو خيثمة من بنى حارثة يدل به، حتى نزل الشعبَ من أُحد مستنداً إلى الجبل، وقد سرَّحت قريش الظهرَ[2] والكُراع[3] فى زروع المسلمين.

وتهيأ للقتال فى سبعمائة، فيهم خمسون فارساً، وخمسون رامياً، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير من بنى عمرو بن عوف الأوسى أخو خَوّات، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بنى عبد الدار.

وأجاز يومئذ سَمُرة بن جُنْدُب الفزارى ورافع بن خَديج من بنى حارثة فى الرماة، وسنهما خمسة عشر عاماً، وردَّ أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومن بنى مالك بن النجار: زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ومن بنى حارثة البَراء بن عازب وأُسَيْد بن ظُهيرْ، وردّ عَرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخُدرى، سن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاماً، وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرته عكرمة بن أبى جهل.

وأعطى عليه السلام سيفه - بحقه[4] - إلى أبى دُجانة سماك بن خَرْشة من بنى ساعدة، وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب.

[**أبو عامر الراهب**]. وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النُّعمان[5] أحد بنى ضبيعة[6]، وكان فى الجاهلية قد ترهب وتنسك، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء وفر إلى مكة فى رجال من الأوس، وشهد أحداً مع الكفار، وكان يَعِدُ قريش فى انحراف الأوس إليه لما أنه

---

(١) فى المقام: أى فى البقاء بالمدينة.

(٢) الظهر هنا الإبل. (٣) الكراع: الخيل.

(٤) سيفه بحقه: أى يقاتل به المشركين حتى ينكسر أو ينحنى، ولا يرفعه على مسلم أو امرأة.

(٥) هكذا جاء فى ابن هشام (٣ / ٥٠) مالك بن النعمان، بينما جاء فى الجمهرة: ٣٣٣ النعمان بن مالك.

(٦) فى هـ، م (فى طليعة) وهو خطأ والتصويب ما أثبته من ابن هشام ٣ / ٥٠ وابن حزم.

سيدهم فلم يصدق ظنه، ولما ناداهم وعرفوه قالوا: «لا أنعم الله بك[1] يا فاسق»، فقاتل المسلمين قتالاً شديداً.

وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة[2] وأبو دجانة والنضر بن أنس[3] بلاء شديداً، وأصيب جماعة من الأنصار مقبلين غير مدبرين، واشتد القتال، وانهزم قريش أولاً، فخلت الرماة عن مراكزهم، وكرَّ المشركون كرَّةً، وقد فقدوا متابعة الرماة، فانكشف المسلمون، واستشهد منهم من أكرمه الله، ووصل العدو إلى رسول الله ﷺ، وقاتل مصعبُ بن عمير صاحبُ اللواء دونه حتى قتل.

وجُرح رسول الله ﷺ في وجهه، وكُسرت رَبَاعيته اليمنى السفلى[4] بحجر، وهُشمت البيضة[5] في رأسه. يقال إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاص وعمرو بن قَميئة الليثي.

وشد حنظلة الغسيل على أبي سفيان ليقتله، فاعترضه شدّاد بن الأسود الليثي وهو ابن شعوب فقتله[6]، وكان جُنباً، فأخبر رسولُ الله ﷺ أن الملائكة غسلته[7].

وأكبت[8] الحجارة على رسول الله ﷺ حتى سقط من بعض حفر هناك، فأخذ عليّ بيده، واحتضنه طلحة حتى قام، ومص الدم من جرحه مالكُ بن سنان الخدري والد أبي سعيد، ونشبت حلقتان من حلق المغفر[9] في وجهه ﷺ فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، فندرت ثنيتاه[10] فصار أهتم.

ولحق المشركون رسولَ الله ﷺ، وكرَّ دونه نفر من المسلمين، فقُتلوا كلهم، وكان

---

(١) كانت في هـ، م لك، والتصويب من كتب السيرة.

(٢) لم أجد بين أبطال يوم أحد من اسمه شيبة، وعند ابن حزم خامسهم على بن أبي طالب.

(٣) صحة الاسم أنس بن النضر.

(٤) الرباعية: السن بين الثنية والناب، وسميت بذلك لأنهما رباعيتان في الفك الأعلى ومثلهم في الفك الأسفل.

(٥) البيضة: الخوذة يلبسها المقاتل في رأسه.

(٦) في هـ، م من شعوب والتصويب من كتب السيرة.

(٧) فسموه غسيل الملائكة، لأنه استشهد وهو كما قام من امرأته لما سمع نداء الجهاد لباه مسرعاً ولم يغتسل، فغسلته الملائكة غسل جنابة، فالشهيد لا يغسل.

(٨) وأكبت: في ابن حزم وألبت.

(٩) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، ويلبس تحت القلنسوة.

(١٠) الثنية: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم؛ وندرت: سقطت.

آخِرُهم عمَّار بن يزيد بن السكن[١]. ثم قاتل طلحة حتى أجهض[٢] المشركين، وأبو دجانة يلى النبى ﷺ بظهره وتقع فيه النبل فلا يتحرك، وأصيبت عين قتادة بن النعمان من بنى ظفر، فرجع وهى على وجنته، فردها عليه السلام بيده فصحَّتَ، وكانت أحسن عينيه.

وانتهى النضر بن أنس[٣] إلى جماعة من الصحابة، وقد دهشوا، وقالوا قتل رسول الله ﷺ، فقال: فما تصنعون فى الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه! ثم استقبل الناسَ وقاتل حتى قُتل، ووُجد به سبعون ضربة. وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة، بعضها فى رجله فعرج منها.

وقُتل حمزة عم النبى ﷺ، قتله وحشى مولى جُبيْر بن مطعم بن عدى، وكان قد جاعله[٤] على ذلك بعتقه، فرآه يبارز سباع بن عبد العزى، فرماه بحربته من حيث لا يشعر فقتله، ونادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، لأن عمرو بن قميئة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبى ﷺ، وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب بن مازن[٥] ضربات، فتوقى منها بدرعيه، وخشى المسلمون لما أصابه، ووهنوا لصريخ الشيطان.

ثم إن كعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة عرف رسول الله ﷺ فنادى بأعلى صوته يبشر الناس، ورسول الله ﷺ يقول له: أنصت، فاجتمع عليه المسلمون، ونهضوا معه نحو الشِّعب، فيهم أبو بكر وعمر وعلى والزبير والحرث بن الصمة الانصارى وغيرهم.

وأدركه أُبى بن خلف فى الشعب فتناول ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة وطعنه بها فى عنقه، فكرّ أبى منهزماً، وقال له المشركون: ما بك من بأس، فقال: والله لو بصق على لقتلنى! وكان ﷺ قد توعده بالقتل، فمات عدو الله بسرف مرجعهم إلى مكة.

ثم جاء علىٌّ رسولَ الله ﷺ بالماء فغسل وجهه، ونهض فاستوى على صخرة من الجبل، وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً، وغفر الله للمنهزمين من المسلمين، ونزل: ﴿ إنَّ

---

(١) مختلف فى اسمه، ما بين زياد بن السكن أو عمارة بن زياد بن السكن (انظر الاستيعاب ٣/ ١١٤٣)، وفى الإصابة ٤/ ٥٧٤ عمار بن زياد بن السكن، وهو فى ابن هشام ٣/ ٩٣ عمارة بن زياد.

(٢) أجهضه عن الأمر: ابعده عنه ونحّاه.

(٣) صحة الاسم: أنس بن النضر.

(٤) وعده ان يجعل قتله لحمزة مقابل عتقه.

(٥) جاء فى نسب نسيبة بنت كعب من (أبى مازن) وليس من آبائها أبو مازن، ولكن جدها السابع اسمه مازن بدون (أبو) فحذفنا كلمة (أبى) والتصويب من الإصابة ٧/ ١٤٠.

﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وكان منهم عثمان ابن عفان، وعقبة بن عثمان الأنصاري(١).

[**الشهداء**] واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرناه، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار. وأمر رسول الله ﷺ أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم في مضاجعهم، ولم يغُسَّلوا ولم يُصَلِّ عليهم.

[**قتلى المشركين**] وقتل من المشركين اثنان وعشرون، منهم الوليد بن العاصي بن هشام، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح، وكان أسر يوم بدر فمنَّ عليه وأطلقه بلا فداء على أن لا يعين عليه، فنقض العهد، وأُسر يوم أحد، وأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه صبراً، وأُبيّ بن خلف، قتله رسول الله ﷺ بيده.

وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطل على رسول الله ﷺ وأصحابه، ونادى بأعلى صوته «الحرب سجال يوم أحد بيوم بدر اعل هبل» وانصرف وهو يقول: «موعدكم العام القابل» فقال عليه السلام: «قولوا له هو بيننا وبينكم».

ثم سار المشركون إلى مكة، ووقف رسول الله ﷺ على حمزة، وكانت هند وصواحبها قد جدعْنه وبقرن عن كبده، فلاكتها ولم تسغها، ويقال إنه لما رأى ذلك في حمزة قال: لئن أظفرني الله بقريش لأمثلن بثلاثين منهم. ورجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ويقال إنه قال: «لعلى لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا».

غزوة حمراء الأسد:

ولما كان يوم أحد سادس عشر شوال وهو صبيحة يوم أحد، أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج لطلب العدو، وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس، وفسح(٢) لجابر بن عبد الله ممن سواهم، فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح، وسار(٣) عليه السلام متجلداً مرهباً للعدو، وانتهى إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها

---

(١) في هـ، م عثمان بن أبي عقبة الأنصاري، والصواب ما أثبته من الاستيعاب ترجمة ١٨٢٦؛ وكان قد فر يوم أحد وأخوه سعد بن عثمان.

(٢) فسح لجابر: أي سمح له.

(٣) في هـ، م صار، وأعتقد أنها من الأوفق أن تكون سار.

ثلاثاً، ومر به هناك معبد بن أبى معبد الخزاعى سائراً إلى مكة، ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ فى طلبهم، وكانوا يرومون الرجوع إلى المدينة، ففت ذلك فى أعضادهم، وعادوا إلى مكة.

بعث الرجيع:

ثم قدم على رسول الله ﷺ فى صفر، متم الثلاثة من الهجرة، نفرٌ من عضل والقارة من بنى الهون بن خزيمة[١] إخوة بنى أسد فذكروا أن فيهم إسلاماً، ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم فى الدين، فبعث معهم ستة رجال من أصحابه: مَرْثد بن أبى مرثد الغنوى، وخالد بن البُكَيْر الليثى، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح من بنى عمرو بن عوف، وخُبيب بن عدى من بنى جحْجبا بن كُلْفة، وزيد بن الدَّثِنَّة بن بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر، وأمر عليهم مرثداً منهم، ونهضُوا مع القوم.

حتى إذا كانوا بالرجيع، وهو ماء لهُذيل قريباً من عُسْفان، غدروا بهم، واستصرخوا هذيلاً عليهم، فغَشوْهم فى رحالهم، ففزعوا إلى القتال فأمَّنوهم وقالوا: إنا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة، فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم، وقاتلوا حتى قُتلوا.

وراموا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيد، وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر لما قتل ابنيها من بنى عبد الدار يوم أحد، فأرسل الله الدبر[٢] فحمت عاصماً منهم، فتركوه إلى الليل، فجاء السيل فاحتمله. وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة.

ولما كانوا بمَر الظهران انتزع ابن طارق يده من القَران[٣]، وأخذ سيفه، فرموه بالحجارة فمات، وجاءوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوها إلى قريش، فقتلوهما صبراً.

حديث بئر معُونة:

وقدم على رسول الله ﷺ فى صفر هذا مُلاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال: إنى أخاف عليهم. فقال أبو براء: أنا لهم جار.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو من بنى ساعدة فى أربعين من المسلمين، وقيل فى سبعين، منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان خال أنس، وعامر بن فهيرة ونافع بن

---

(١) كانت في هـ م: والقارة بنى الهون من خزيمة والتصويب من الجمهرة: ١٩٠.
(٢) الدَّبْر: ذكور النحل. (٣) القران: الحبل يقاد به.

بُديْل بن ورقاء، فنزلوا بئر معونة بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم.

وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبى ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فقتله ولم ينظر فى كتابه، واستعدى عليهم بنى عامر، فأبوا الجوار أبى براء إياهم، فاستعدى بنى سليم، فنهضت منهم عُصَيَّة ورِعْل وذكْوان وقتلوهم عن آخرهم.

وكان سرحهم إلى جانب منهم، ومعهم المنذر بن أُحيْحة من بنى الجُلاح، وعمرو بن أمية الضَّمرى، فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر فأسرعا إلى أصحابهما فوجداهم فى مضاجعهم؛ فأما المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقبة كانت عن أمه، وذلك لعشر بقين من صفر، وكانت مع الرجيع فى شهر واحد.

ولما رجع عمرو بن أمية لقى فى طريقه رجلين من بنى كلاب أو بنى سليم، فنزلا معه فى ظل كان فيه، معهما عهد من النبى ﷺ لم يعلم به عمرو، فانتسبا له فى بنى عامر أو سليم، فعدا عليهما لما ناما وقتلهما، وقدم على النبى ﷺ فأخبره بذلك، فقال: «لقد قتلتَ قتيلين لأدينهما»[١].

غزوة بنى النضير:

ونهض رسول الله ﷺ إلى بنى النضير مستعيناً بهم فى دية هذين القتيلين، فأجابوا، وقعد عليه السلام مع أبى بكر وعمر وعلى ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم، وأراد بنو النضير رجلاً منهم على الصعود إلى ظهر البيت ليلقى على النبى ﷺ صخرة، فانتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش بن كعب منهم. وأوحى الله بذلك إلى نبيه، فقام ولم يشعر أحداً ممن معه، واستبطأوه واتبعوه إلى المدينة، فأخبرهم عن وحى الله بما أراد به يهود.

وأمر أصحابه بالتهيؤ لحربهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ونهض فى شهر ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة، فتحصنوا منه بالحصون، فحاصرهم ست ليال، وأمر بقطع النخل[٢] وإحراقها، ودس إليهم عبد الله بن أبىّ والمنافقون: «إنا معكم قوتلتم[٣] أو أُخرجتم». فغرُّوهم بذلك ثم خذلوهم كرهاً وأسلموهم.

(١) رواه الطبرانى وابن هشام من طريق ابن إسحاق بسنده مرسلاً.

(٢) أمره ﷺ بقطع النخل أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عمر.

(٣) كانت في هـ م: قتلتم، والتصويب من ابن هشام ٣ / ١٣٨.

وسأل عبد الله من النبى ﷺ أن يكف عن دمائهم ويجليهم بما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح(١)، واحتمل إلى خيبر من أكابرهم حييٍّ بن أخطب وابن أبى الحقيق، فدانت لهم خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

وقسم رسولُ الله ﷺ أموالَهم بين المهاجرين الأَولين خاصة، وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف، كانا فقيرين(٢).

وأسلم من بنى النضير يامين بن عمير بن جحّاش(٣)، وسعيد بن وهب(٤) فأحرزا أموالهما بإسلامهما، وفى هذه الغزاة نزلت سورة الحشر.

غزوة ذات الرِّقَاع:

وأقام رسول الله ﷺ بعد بنى النضير إلى جمادى من السنة الرابعة(٥)، ثم غزا نجداً يريد بنى مُحارب، وبنى ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى، وقيل عثمان بن عفان، ونهض حتى نزل نخلاً(٦)، فلقى بها جمعاً من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، إلا أنهم خاف بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف.

وسميت ذات الرقاع؛ لأن أقدامهم نُقبت، وكانوا يلقون عليها الخِرق، وقال الواقدى: لأن الجبل الذى نزلوا به كان به سواد وبياض وحمرة رقاعاً، فسميت بذلك. وزعم أنها كانت فى المحرم.

غزوة بدر الصغرى (الموعد):

كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه بموعد بدر من قابل، وأجابوه بأمر رسول الله ﷺ، فلما كان فى شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده، واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول، ونزل فى بدر، وأقام هناك ثمان ليال، وخرج أبو

---

(١) لهم ما حملت الإبل من أموالهم ما عدا السلاح.. حديث صحيح رواه الحاكم وأقره الذهبى.

(٢) وكلاهما أنصارى، وقد ذكرا للنبى ﷺ حاجة.

(٣) فى ابن هشام ٣/١٤٠ يامين بن عمير بن كعب بن عمر بن جحاش، وهو ابن عم للشقى عمرو بن جحاش بن كعب الذى كان سيلقى الصخرة على النبى ﷺ.

(٤) فى ابن هشام ٣/١٤٠ أبو سعد بن وهب.

(٥) زعم الواقدى أنها كانت فى المحرم من السنة الخامسة.

(٦) فى هـ، م «حتى نزل نجداً» وصحتها نخلاً، والتصويب من ابن هشام ٣/١٤٨، ونخل موضع بنجد من أرض غطفان.

سفيان في أهل مكة حتى نزل الظهران أو عسفان، ثم بدا له في الرجوع، واعتذر بأن العام عام جدب.

غزوة دومة الجندل:

خرج إليها رسول الله ﷺ في ربيع الأول من السنة الخامسة، وخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفاري. وسببها أنه عليه السلام بلغه أن جمعًا تجمعوا بها، فغزاهم، ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل، ولم يلق حرباً.

وفيها وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنة بن حصن أن يرعى بأراضي المدينة؛ لأن بلاده كانت أجدبت، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت، فأذن له في رعيها.

غزوة الخندق:

كانت في شوال من السنة الخامسة. والصحيح أنها في الرابعة، ويقويه أن ابن عمر يقول: «ردَّني[1] رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة» فليس بينهما إلا سنة واحدة، وهو الصحيح. فهي قبل دومة الجندل بلا شك.

وكان سببها أن نفراً من اليهود منهم سَلاَم بن أبي الحقيق، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق، وسلام بن مشْكم، وحُيَيّ بن أخطب من بني النضير، وهوذة[2] بن قيس، وأبو عمار من بني وائل[3]. لما انجلى بنو النضير إلى خيبر خرجوا إلى مكة يحزِّبون الأحزاب، ويحرضون على حرب رسول الله ﷺ، ويرغبون من اشرأب إلى ذلك بالمال، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك، ثم مضوا إلى غطفان، وخرج بهم عُيَيْنة بن حصن على أشْجَع، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم.

ولما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر بحفر الخندق على المدينة، وعمل فيه بيده والمسلمون معه، ويقال إن سلمان أشار به، ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد، وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين، وقيل في تسعمائة فقط، وهو راجل بلا شك، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فنزل بسطح سلْع[4]، والخندق

---

(١) رواه الشيخان ومسلم عن ابن عمر.

(٢) في هـ، م هود بن قيس، والتصويب من ابن هشام ٣/١٥٧ وفيه هؤذة بن قيس.

(٣) في هـ، م أبو عمارة والتصويب من ابن هشام ٣/١٥٧ (أبو عمار الوائلي).

(٤) سلْع: جبل متصل بالمدينة.

بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري فجُعلوا في الآطام.

[**تآمر بني قريظة مع الأحزاب**] وكان بنو قريظة موادعين لرسول الله ﷺ، فأتاهم حُيَيٌّ وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الأحزاب، وبلغ أمرهم إلى النبي ﷺ فبعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة وخَوّات بن جبير وعبد الله بن رواحة يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله ﷺ، فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه، وانصرفوا. وكان ﷺ قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضاً، لئلا يفتُّوا في أعضاد الناس، فلما جاءوا إليه قالوا: «يا رسول الله عضل والقارة» يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع. فعظم الأمر، وأحيط بالمسلمين من كل جهة، وهمَّ بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة، ثم ثبتهم الله، ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر، ولم تكن حرب[1].

[**النبي يفاوض بني غطفان**] ثم رجع رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف[2] أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار المدينة، وشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فأبيا وقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به فلابد منه؟ أم شيء تحبه فنصدقه فنصنعه لك؟، أم شيء تصنعه لنا؟ فقال: بل أصنعه لكم؛ إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة. فقال سعد بن معاذ: «قد كنا معهم على الشرك والأوثان ولا يطمعون منا بثمرة إلا شراءً وبيعًا[3]، فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف!».

فصلب رسول الله ﷺ، وتمادى الأمر، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق، وفيهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن عبد وُدّ من بني عامر بن لؤي وضرار بن الخطاب من بني محارب، فلما رأوا الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلْع، ودعوا إلى البِراز.

وقتل علي بن أبي طالب عمرَو بن عبد ود، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا.

ورُمي في بعض تلك الأيام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الأكحل[4]، يقال رماه

---

(١) ولم تكن حرب إلا الحصار ورمي بالسهام والنبل.

(٢) وهما قائدا غطفان.

(٣) في ابن هشام ٣/١٦٣: إلا قرى أو بيعاً.

(٤) وريد في وسط الذراع.

حبّان بن قيس بن العَرِقة، وقيل أبو أسامة[1] الجشمى حليف بنى مخزوم، ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها فلا قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة»!

[**نعيم يوقع بين الأحزاب وبنى قريظة**] ثم اشتد الحال وأتى نُعَيْم بن مسعود بن عامر ابن أُنَيْف بن ثعلبة بن قُنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فقال: يا رسول الله إنى أسلمت ولم يعلم قومى، فمرنى بما تشاء، فقال: «إنما أنت رجل واحد فخذِّل[2] عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة» فخرج فأتى بنى قريظة وكان صديقهم فى الجاهلية فنقم لهم فى قريش وغطفان، وأنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم ولا تقدرون على التحول عن بلدكم. ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه، فاستوثقوا منهم برهن أبنائهم حتى يصابروا معكم. ثم أتى أبا سفيان وقريشاً فقال لهم: إن اليهود قد ندموا وراسلوا محمداً فى الموادعة على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم إليه. ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش، فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بنى قريظة فى ليلة سبت: «إنا لسنا بدار مقام، فأعدوا للقتال». فاعتذر اليهود بالسبت وقالوا: «مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا أبناءكم». فصدق القوم خبر نعيم، وردوا إليهم بالإباية من الرهن والحث على الخروج، فصدق أيضاً بنو قريظة خبر نعيم، وأبوا القتال، وأرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة أكفأت قدورهم وآنيتهم، وقلعت أبنيتهم وخيامهم. وبعث عليه السلام حذيفة بن اليمان عيناً فأتاه بخبر رحيلهم، وأصبح وقد ذهب الأحزاب ورجع إلى المدينة.

غزوة بنى قريظة:

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه جبريل بالنهوض إلى بنى قريظة، وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، فأمر المسلمين أن لا يصلى أحد العصر إلا فى بنى قريظة، وخرج وأعطى الراية علىَّ بن أبى طالب، واستخلف ابن أم مكتوم، وحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة.

وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث: إما الإسلام، وإما تبييت النبى

---

(١) فى م: أسامة الجشمى وفى هـ أبو أسامة الجشمى، وكذلك ابن هشام ٣/ ١٦٦.

(٢) رواه الشيرازى عن نعيم بن مسعود.

ﷺ ليلة السبت ليكون الناس آمنين منهم[١]، وإما قتل الذرارى والنساء ثم الاستماتة، فأبوا كل ذلك.

وأرسلوا إلى النبى ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف لأنهم كانوا حلفاء الأوس، فأرسله، واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان، فقالوا يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده فى حلقه أنه الذبح، ثم رجع فندم، وعلم أنه أذنب، فانطلق على وجهه ولم يرجع إلى النبى ﷺ، وربط نفسه إلى عمود فى المسجد ينتظر توبة الله عليه، وعاهد الله أن لا يدخل أرض بنى قريظة مكاناً خان فيه ربه ونبيه، وبلغ ذلك النبى ﷺ. فقال: «لو أتانى لاستغفرت له، فأما بعد ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه»، فنزلت توبته، فتولى عليه السلام إطلاقه بيده بعد أن أقام مرتبطاً بالجذع ست ليال لا يُحَلّ إلا للصلاة.

ثم نزل بنو قريظة على حكم النبى ﷺ، فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من بَهدل[٢] إخوة قريظة والنضير، وفر عنهم عمرو بن سعد[٣] القرظى ولم يكن دخل معهم فى نقض العهد، فلم يعلم أين وقع[٤].

[**تحكيم سعد بن معاذ**] ولما نزل بنو قريظة على حكمه ﷺ، طلب الأوس أن يفعل فيهم ما فعل بالخزرج فى بنى النضير، فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ، وكان جريحاً منذ يوم الخندق، وقد أنزله رسول الله ﷺ فى خيمة فى المسجد ليعوده من قريب، فأتى به على حمار، فلما أقبل على المجلس قال رسول الله ﷺ لهم: «قوموا إلى سيدكم»[٥]. ثم قالوا: يا سعد إن رسول الله ﷺ قد ولاك حكم مواليك. فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه؟ قالوا: نعم. قال فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[٦].

ثم إنه أمر فأخرجوا إلى سوق المدينة، وخندقَ لهم بها خنادق، وضربت أعناقهم فيها،

---

(١) فاليهود لا يعملون شيئاً يوم السبت، ويعرف المسلمون ذلك عنهم، فلو خالفوا شريعتهم وقاموا بالعدوان على النبى ﷺ والمسلمين يوم السبت لأخذوهم على غرة وانتصروا عليهم.

(٢) فى ابن هشام ٣/١٧٤ بنى هدل، وهم بنو عم لقريظة والنضير. وهى فى هـ: هذيل.

(٣) عمرو بن سعد القرظى فى هـ، م، ولكن فى عيون الأثر ٢/٩٩ عمرو بن سعدى القرظى.

(٤) فخرج عنهم وبات فى مسجد رسول الله ﷺ ليلته ثم ذهب فلا يعرف أحد أين ذهب.

(٥) قوموا إلى سيدكم: رواه أبو داود والشيخان وأحمد وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى.

(٦) هذه رواية ابن إسحاق (ابن هشام ٣/١٧٦).. فلقد ألهم الله سعداً أن يحكم فيهم بحكم =

وهم بين الستمائة والسبعمائة رجل، وقتلت فيهم امرأة واحدة: بنانة امرأة الحكم القرظي، وكانت طرحت على خلّاد بن سُوَيْد بن الصامت رحى من فوق الحائط فقتلته، وأمر عليه السلام بقتل من أنبت(١) منهم، ووهب لثابت بن قيس ابن الشمّاس ولدَ الزبير بن باطا فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير، كانت له صحبة، وبعد أن كان ثابت استوهب من النبي ﷺ الزبير وأهله وماله فوهبه ذلك، فردّ(٢) الزبير عليه يده، وأبى إلا الشد مع قومه اغتباطاً بهم، قبحه الله. ووهب عليه السلام لأم المنذر بنت قيس من بني النجار رفاعة بن سموأل القرظي، فأسلم رفاعة، وله صحبة.

وقسم ﷺ أموال بني قريظة، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهماً. وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فرساً، ووقع في سهم النبي ﷺ من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة(٣) من بني عمرو بن قريظة، فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله ﷺ.

وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة، ولما تم أمرهم أجيبت دعوة سعد بن معاذ فانفجر عرقه ومات، فكان ممن استشهد يوم الخندق في سبعة آخرين من الأنصار.

وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش، فيهم عمرو بن عبد ود وابنه حسل، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة. ولم تغز كفار قريش المسلمين منذ يوم الخندق.

غزوة بني لَحْيَان:

ثم خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة؛ فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي وأهل الرجيع، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل، فسلك على طريق الشام أولاً، ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام، ثم رجع إلى طريق مكة، وأجَدَّ السير حتى نزل منازل لبني لحيان

= شريعتهم حسب ما ورد في التوراة التي في أيديهم، ففي الإصحاح العشرين من تثنية الاشتراع «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الربُّ إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك».

(١) أي أنبت الشعر في المواضع التي تعتبر من علامات البلوغ. (٢) كانت في الأصول: فمر.

(٣) وهي في الإصابة: ٧/٦٥٨ ريحانة بنت شمعون.

بين أمَج وعُسْفان، فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال، وفاتتهم الغرة فيهم، فخرج فى مائتى راكب إلى المدينة.

غزوة الغابة وذى قَرَد:

وبعد قفوله والمسلمين إلى المدينة بليال، أغار عيينة بن حصن الفزارى فى بنى عبد الله من غطفان، فاستلحموا لقاح النبى ﷺ بالغابة، وكان فيها رجل من بنى غفار وامرأته، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة، ونذر بهم سَلَمةُ بن عمرو بن الاكوع الأسلمى وكان ناهضاً، فعلا ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيراً بهم، ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم.

ولما وقعت الصيحة بالمدينة، ركب رسول الله ﷺ فى أثرهم، ولحق به المقداد ابن الأسود، وعباد بن بشر، وسعد بن زيد من بنى عبد الأشهل، وعُكاشة بن مِحْصن، ومُحْرِز بن نضلة الأسدى، وأبو قتادة من بنى سلمة فى جماعة من المهاجرين والانصار، وأمر عليهم رسول الله ﷺ سعد بن زيد، وانطلقوا فى اتباعهم حتى أدركوهم، فكانت بينهم جولة؛ قُتل فيها محرز بن نضلة، قتله عبد الرحمن بن عيينة، وكان أول من لحق بهم.

ثم ولّى المشركون منهزمين، وبلغ رسولُ الله ﷺ ماءً يقال له ذو قرد، فأقام عليه ليلة ويومها، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة، ثم قفل إلى المدينة.

غزاة بنى المُصْطَلَق:

وأقام رسول الله ﷺ إلى شعبان من هذه السنة السادسة، ثم غزا بنى الُمصْطلق من خُزاعة؛ لما بلغه أنهم مجتمعون له، وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية أم المؤمنين[١]، فخرج إليهم، واستخلف أبا ذر الغفارى، وقيل نُمَيْلة بن عبد الله الليثى، ولقيهم بالمُرَيْسيع من مياههم ما بين قُدَيْد والساحل، فتزاحفوا، وهزمهم الله، وقتل من قتل منهم.

وسبى النساء والذرية، وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس، فكاتبها[٢]، وأدّى عليه السلام عنها، وأعتقها وتزوجها.

وأصيب فى هذه الغزاة هشام بن صُبَابة الليثى من بنى ليْث بن بكر، قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطاً يظنه من العدو، وفى مرجع النبى ﷺ من هذه الغزاة،

---

(١) سماها أم المؤمنين على اعتبار ما سيكون بعد الغزو من زواج النبى ﷺ بها.

(٢) كاتبها أى اتفق معها على مبلغ تدفعه له مقسطاً فإذا تم السداد صارت حرة.

وفيها قال عبد الله بن أبى ابن سلول: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن واقد الجهنى[1] حليف بنى عوف بن الخزرج، فتثاوروا وتباهوا، فقال ما قال، وسمع زيد بن أرقم مقالته وبلغها إلى رسول الله ﷺ، ونزلت سورة المنافقين، وتبرأ منه ابنه عبد الله، وقال: «يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل، وإن شئت والله أخرجته. ثم اعترض أباه عند المدينة وقال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فاذن له، وحينئذ دخل، وقال: يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى، وإنى أخشى أن تأمر غيرى فلا تدعنى نفسى أن أقاتله، وإن قتلتُه قتلتُ مؤمناً بكافر، ولكن مُرْنى بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه. فجزاه رسول الله ﷺ خيراً، وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء.

وفيها قال أهل الإفك ما قالوا فى شأن عائشة، مما لا حاجة بنا إلى ذكره، وهو معروف فى كتب السير، وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفها[2]. وقد وقع فى الصحيح أن مراجعةً وقعت فى ذلك بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، وهو وهمٌ ينبغى التنبيه عليه؛ لأن سعد بن معاذ مات بعد فتح بنى قريظة بلاشك داخل السنة الرابعة، وغزوة بنى المصطلق فى شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهراً من موت سعد، والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بنى المصطلق بأزيد من خمسين ليلة. والذى ذكر ابن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره أن المقاول لسعد بن عبادة إنما هو أُسَيْد بن الحُضَيْر. والله أعلم[3].

ولما علم المسلمون أن النبى ﷺ تزوج جويرية، أعتقوا كل من كان فى أيديهم من بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ، فأُطلق بسببها مائة من أهل بيتها.

ثم إن رسول الله ﷺ بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن

---

(١) فى الاستيعاب ٢ / ٦٥٦ فى ترجمة سنان بن تيم الجهنى حليف لبنى عوف بن الخزرج؛ ويقال سنان بن وبرة الجهنى؛ وفى ابن هشام ٣ / ٢١٤ سنان بن وبر.

(٢) حديث الإفك ورد فى الصحيحين وغيرهما.. راجع - إن شئت - موضوعه فى تفصيل، فى كتابنا «نساء النبى ﷺ».

(٣) أولاً: حديث ابن إسحاق حديث مرسل لا يحتج به.

ثانياً: إن الملاحاة بين الرجلين كانت فى حديث الإفك.. أما الخلاف: فهل كان سعد بن معاذ أحد الرجلين أم كان غيره؟.. فى إيجاز نقول: لا خلاف فى أن سعد أصيب يوم الأحزاب ومات بعد تحكيمه فى بنى قريظة.. فهل كانت الاحزاب بعد غزوة بنى المصطلق وحديث الإفك.. إن كانت بعد فسعد أحد الرجلين.. وإن كانت قبلهما فليس أحد الرجلين، فالاعتراض قائم ما دام هناك خلاف حول أيهما أسبق. (راجع - إن شئت زاد المعاد جـ٢ غزوة المريسيع وما بعدها).

أبى معيط لقبض صدقاتهم، فخرجوا يتلقونه فخافهم على نفسه، ورجع، وأخبر أنهم هموا بقتله، فتشاور المسلمون فى غدرهم، ثم جاء وفدهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم، وأنهم إنما خرجوا تلقية وكرامة لوروده، فقبل النبى ﷺ ذلك منهم، ونزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ [الحجرات: ٦].

عمرة الحديبية:

ثم خرج رسول الله ﷺ فى [السنة] السادسة، وفى ذى القعدة منها، معتمراً بعد بنى المصطلق بشهرين، واستنفر الأعرابَ حوالى المدينة، فأبطأ أكثرهم، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار، واتبعه من العرب فيما بين الثلثمائة بعد الألف إلى الخمسمائة، وساق الهدْى، وأحرمَ من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، وبلغ ذلك قريشاً، فأجمعوا على صده عن البيت وقتاله دونها، وقدَّموا خالد بن الوليد فى خيل إلى كراع الغميم، وورد خبرهم إلى النبى ﷺ بعسفان، فسلك على ثنية المُرَار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة، وجاء من ورائهم، فكرّ خالد فى خيله إلى مكة، فلما جاء ﷺ إلى مكة بركت ناقته، فقال الناس: خلأتْ(١). فقال: «ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»(٢) ثم نزل، واشتكى الناس فقد الماء، فأعطاهم سهماً من كنانته غرزوه فى بعض القلب من الوادى، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش، يقال نزل به البراء بن عازب.

ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولاً. وشاع الخبر أن المشركين قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ المسلمين، وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت، وأن لا يفروا، وهى بيعة الرضوان، وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال: هذه عن عثمان(٣). ثم كان سهيل بن عمرو آخر من جاء من قريش، فقاضى رسولَ الله ﷺ على أن ينصرف عامه ذلك ويأتى من قابل معتمراً، ويدخل مكة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيوف فى القرب، فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد، وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة(٤) أن يرد إلى قومه، ومن ارتد من المسلمين إليهم

---

(١) حرنتْ وبركت من غير علة.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى فى كتاب الشروط، وأبو داود (تيسير الوصول ٣/٢٤٩ - ٢٥٥).

(٣) الحديث رواه البخارى والترمذى (تيسير الوصول ٣/٢١٤).

(٤) لم يأت الصلح بهذا التفصيل (من رجل أو امرأة) بل كان نصه «من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم».

لم يردوه. فعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم، وقد كان النبى ﷺ علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام، وأن الله يجعل فيه فرجاً للمسلمين، وهو أعلم بما علّمه ربه. وكتب الصحيفة علىٌّ، وكتب فى صدرها: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ» فأبى سهيل عن ذلك وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يمحوها فأبى، وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك، وكتب محمد بن عبد الله.

(ولا يقع فى ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب؛ فإنها قد ثبتت فى الصحيح[١]. وما يعترض فى الوهم من أن كتابته قادحة فى المعجزة فهو باطل؛ لأن هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف، ولا قوانين الخط وأشكالها، بقيت الأمية على ما كانت عليه، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات. انتهى).

ثم أتى أبو جندل[٢] بن سهيل يرسف فى قيوده، وكان قد أسلم، فقال سهيل: هذا أول ما نقاضى عليه، فرده رسول الله ﷺ إلى أبيه، وعظم ذلك على المسلمين، وأخبر النبى ﷺ أبا جندل أن سيجعل الله له فرجاً. وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من جهة قريش (قيل ما بين الثلاثين والأربعين)، يريدون الإيقاع بالمسلمين، فأخذتهم خيول المسلمين، وجاءوا بهم إلى رسول الله ﷺ فأعتقهم، فإليهم ينسب العتقيون.

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله ﷺ أن ينحروا ويحلقوا، فتوقفوا، فغضب حتى شكا إلى زوجته أم سلمة، فقالت: يا رسول الله اخرج وانحر واحلق فإنهم تابعوك، فخرج ونحر، وحلق رأسه حينئذ خِرَاشُ بن أمية الخزاعى.

ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وما فُتح من قبله فتحٌ كان أعظم من هذا الفتح. قال الزهرى: لما كان القتال حيث لا يلتقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضهم بعضاً، فالتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحدٌ بالإسلام أحداً يفعل شيئاً إلا دخل عليه، فلقد دخل فى ذَينك السنتين فى الإسلام مثلما كان قبل ذلك أو أكثر.

---

(١) فى كتاب «أسماء الحبيب المصطفى» لنا عرض مستفيض عن هذا الموضوع فى اسمه ﷺ النبى الأمى وجارى طبعه.

(٢) قيل اسمه عبد الله، وكان من السابقين إلى الإسلام، وأبوه هو سهيل بن عمرو الذى يفاوض النبى ﷺ فى صلح الحديبية (الإصابة ٧ / ٦٩).

ولما رجع ﷺ إلى المدينة لحقه أبو بصير عتبة بن أَسِيد بن جارية هارباً، وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة، وهو ثقفى من حلفاء بنى زهرة، فبعث إليه الأزهر بن عبد عوف عم عبد الرحمن بن عوف، والأخنس بن شريق سيد بنى زهرة، رجلاً من بنى عامر بن لؤى مع مولى لهم، فأسلمه النبى ﷺ، فاحتملاه، فلما نزلوا بذى الحُلَيْفَة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ثم ضرب به العامرى فقتله،وفر الآخر، وأتى أبو بصير إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله قد وفت ذمتك وأطلقنى الله. فقال عليه السلام: «ويلمِّه[1] مِسْعر حرب لو كان له رجال!» ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده، وخرج إلى سيف البحر على طريق قريش إلى الشام، وانضاف إليه جمهور من يفر عن قريش ممن أراد الإسلام، فآذوا قريشاً، وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم. فكتبوا إلى النبى ﷺ أن يضمهم بالمدينة.

ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيط، وجاء فيها أخواها عمارة والوليد، فمنع الله من رد النساء[2]، وفسخ ذلك الشرط المكتتب، ثم نسخت براءة ذلك كله، وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر فى عصمتهم فانفسخ نكاحهن[3].

إرسال الرسل إلى الملوك:

ثم بعث رسول الله ﷺ فيما بين الحديبية ووفاته رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل.

فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هَوْذة بن على صاحب اليمامة.

---

(١) ويلمه: قال الخشنى: ويل أمه كلمة تتعجب بها العرب ولا يريدون بها الذم (مشارق الأنوار ٢/ ٩٨)، رواه البخارى، وفى رواية الأوزاعى: لو كان له رجال انتهى. وقد اجتمع إليه من فر هارباً من قريش فآذوها.

(٢) وكانت قد وفدت إلى المدينة نساء مسلمات منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وسبيعة الأسلمية وغيرهما، فجاء أولياؤهن لردهن على الشرط فقال النبى: إنما الشرط فى الرجال لا فى النساء، وكان ذلك من المعجزات، إذ أن الله قبض النسة المشركين عن أن يقولوا غدر محمد، حتى أنزل الله الآية، من سورة الممتحنة ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مُهَاجِراتٍ فامتحنُوهن، اللهُ أعلمُ بإيمانِهن، فإن علمتُموهن مؤمناتٍ فلا تَرجِعوهن إلى الكفارِ لاهُنَّ حلٌّ لهم، ولا هم يَحِلُّون لهن...﴾ الآية (١٠).

(٣) من الآية ١٠ سورة الممتحنة ﴿ولا تُمْسِكُوا بعِصَمِ الكَوافِر﴾ وهذا بيان لامتناع نكاح المشركة من جملة الكوافر، فطلق عمر بن الخطاب حينئذ قريبة بنت أمية وابنة جرول الخزاعى.

وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى أخى بنى عبد القيس صاحب البحرين.

وعمرو بن العاصى إلى جَيفر بن جُلُنْدى بن عامر بن جلندى صاحب عُمان.

وبعث حاطب ابن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فأدى إليه كتاب رسول الله ﷺ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ أربع جوار منهن مارية أم إبراهيم ابنه.

وبعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر وهو هرَقلْ ملك الروم، فوصل إلى بُصْرَى، وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل، وكان يرى فى ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر، فقرأ الكتاب وإذا فيه:

كتاب النبى ﷺ إلى هرقل:

« بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: أسلمْ تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، (وفى رواية: إثم الأكارين عليك) تَعْيًا بحمله »[1].

فطلب من فى مملكته من قوم النبى ﷺ، فأحضروا له من غزة، وكان فيهم أبو سفيان، فسأله، كما وقع فى الصحيح، فأجابه، وعلم[2]، أحواله، وتفرس صحة أمره، وعرض على الروم اتّباعه فأبوا ونفروا، فلاطفهم بالقول واقصر.

ويروى عن ابن إسحق أنه عرض عليهم الجزية فأبوا، فعرض عليهم أن يصالحوا بأرض سورية، (قالوا وهى أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب، وما كان وراء الدرب فهو الشأم) فأبوا.

قال ابن إسحق: وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدى أخا بنى أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق، وكتب معه: « السلام على من اتبع الهدى وآمن به، أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك مُلكك »[3].

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجهاد والبر باب ٩٩ وغيره، كما رواه الترمذى وأبو داود.

(٢) فى هـ، م وسلم، وهذا تصحيف.. وأعتقد أنها (وعلم) فاثبتها حتى تستقيم العبارة.

(٣) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى جـ١ قسم ٢ ص ١٧.

فلما قرأ الكتاب قال: من ينـزع ملكي أنا سائر إليه. فقال النبي ﷺ: بادَ ملكه!

قال وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً:

كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فاقرهم ودع التَّجَرى، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله، فلقد بلَّغتُ ونصحت فاقبلوا نصحى. والسلام على من اتبع الهدى»[1].

كتاب النجاشى إلى النبى ﷺ:

فكتب إليه النجاشى: «إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحم ابن الحر. سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، أحمد الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانا للإسلام، أما بعد.. فقد بلغنى كتابك يا رسول الله، فما ذكرتَ من أمر عيسى فورب السماء والأرض ما نزيد بالرأى على ما ذكرت، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بُعثتَ به إلينا، وقد قَّربنا ابنَ عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، فقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابنى أرخا الأصحم فإنى لا أملك إلا نفسى، إن شئتَ أن آتيك فعلتُ يا رسول الله فإنى أشهد أن الذى تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله».

فذكر أنه بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة فغرقت بهم.

---

(١) رواه الواقدى والبيهقى وابن إسحاق. وفى طبقات ابن سعد ١/ ٢/ ١٥ أن النبى ﷺ كتب إليه كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، وفى الثانى يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان.

زواج النبى ﷺ من أم حبيبة:

وقد جاء أنه أرسل إلى النجاشي ليزوجه أمَّ حبيبة، وبعث إليها بالخطبة جاريته، فأعطتها أوضاحاً وفتخاً، ووكلت خالد بن سعيد بن العاصى فزوجها، ودفع النجاشى إلى خالد بن سعيد أربعمائة دينار لصداقها، وجاءت إليها بها الجارية، فأعطتها منها خمسين مثقالاً، فردَّتْ الجارية ذلك بأمر النجاشي، وكانت الجارية صاحبة دهنه وثيابه، وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعنبر، وأركبها فى سفينتين مع بقية المهاجرين، فلقوا النبيَّ ﷺ بخيبر، وبلغ أبا سفيان تزويجُ أم حبيبة منه، فقال: «ذلك الفحل الذى لا يُقدع أنفه»(١).

وكتب رسول الله ﷺ فى هذه السنة إلى كسرى، وبعث بالكتاب عبدَ الله بن حُذافة السهمى، وفيه:

كتاب النبى ﷺ إلى كسرى:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله: أما بعد فإنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس»(٢).

فمزق كسرى كتابَ النبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مزق الله ملكه».

وفى رواية ابن إسحاق بعد قوله: «وآمن بالله ورسله»: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإن أبيت فإثم الاريسيين عليك.

قال: فلما قرأه مزقه وقال: «يكتب إلىَّ هذا وهو عبدى!!».

قال: ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذى

---

(١) وفى المعجم الوسيط قدع الفحل: ضرب أنفه بشىء ليرتد، وفحل لا يقدع أنفه: أى كريم.

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم، وكتاب الجهاد وغيرهما، ومسلم كتاب الرؤيا، وأحمد فى مسنده.

بالحجاز رجلين من عندك جَلدَين فليأتياني به، فبعث باذان قهرمانه بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خُرخسرة من الفرس، وكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى، وقال لقهرمانه: اختبر الرجل وعرِّفنى بأمره. وأول ما قدما الطائف سألا عنه فقيل هو بالمدينة، وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف، وقالوا: «قطّب له كسرى وقد كُفيتُموه»، وقدما على رسول الله ﷺ بالمدينة فكلمه بانويه وقال: إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثنى لتنطلق معى، ويكتب معه [إليك][(1)]، فينفعك، وإن أبيت فهو من علمتَ، ويهلك قومك ويخرب بلادك، وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فنهاهما رسول الله ﷺ عن ذلك، فقالا: أمرنا به ربنا، يعنون به كسرى، فقال لهما: «لكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقص شاربى لم أؤخرهما إلى غد»، وجاءه الوحى بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، فدعاهما وأخبرهما، فقالا: هل تدرى ما تقول؟ يحذرانه عاقبة هذا القول. فقال: «اذهبا وأخبراه بذلك عنى وقولا له إن دينى وسلطانى يبلغ ما بلغ ملك كسرى، وإن أسلمتَ أعطيتك ما تحت يدك وملَّكتك على قومك من الأبناء» وأعطى خرخسرة منطقةً فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك أهداها له، فقدما على باذان وأخبراه، فقال: ما هذا كلام ملك، ما أرى الرجل إلا نبياً كما يقول، ونحن ننتظر مقالته. فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه «أما بعد فانى قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس؛ لما كان استحل من قتل أشرافهم وتسخيرهم فى ثغورهم، فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهجْه حتى يأتيك أمرى فيه». فلما بلغ باذانَ الكتابَ وأسلمت الأبناء معه من فارس ممن كان منهم باليمن، وكانت حمير تسمى خرخسرة ذا المفخرة، للمنطقة التى أعطاه إياها النبى ﷺ، والمنطقة بلسانهم المفخرة، وقد كان بانويه قال لباذان: ما كلمت رجلاً قط أهْيَبُ عندى منه، فقال: هل معه شُرْط[(2)]؟ قال: لا.

قال الواقدى: وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يُسْلِم[(3)].

---

(1) إضافة لمحقق النسخة م. (2) أى حراس

(3) حمل الكتاب إليه حاطب بن أبى بلتعة.

غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله ﷺ غازيًا إلى خيبر في بقية المحرم آخر السنة السادسة، وهو في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس، واستخلف نُمَيْلة بن عبد الله الليثي، وأعطى راية لعلي بن أبي طالب، وسلك على الصهباء حتى نزل بواد يقال له الرجيع(*)، فحيل بينهم وبين غطفان، وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خيبر، فلما خرجوا لذلك قذف الله في قلوبهم الرعب لحس سمعوه من ورائهم، فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم، وجعل رسول الله ﷺ يفتح حصون خيبر حصنًا حصنًا، فافتتح أولاً منها حصن ناعم، وألقيت على محمود بن مَسْلمة من أعلاه رحىً فقتلته، ثم افتتح القَمُوص حصن ابن أبي الحقيق، وأصيبت منهم سبايا كانت منهن صفية بنت حُيي بن أخطب، وكانت عروسًا عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فوهبها عليه السلام لدحية، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس، ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدَّت وأسلمت، ثم أعتقها وتزوجها، ثم فتح حصن الصعب بن معاذ، ولم يكن بخيبر أكثر طعامًا وودكاً منه. وآخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلالم، حصرهما بضع عشرة ليلة. ودفع إلى علي الراية في حصار بعض حصونهم، ففتحه، وكان أرمد، فتفل في عينه ﷺ فبرأ.

[**إجلاء يهود من بلاد العرب**] وكان فتح بعض خيبر عنوة، وبعضها وهو الأكثر صُلحاً على الجلاء، فقسمها ﷺ، وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر، يقرهم على ذلك ما بدا له، فبقوا على ذلك إلى آخر خلافة عمر، فبلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يبقى دينان بأرض العرب»[1] فأمر بإجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب[2]، وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرفوا فيها، وكان متولي قسمتها بين أصحابها جبار[3] بن صخر من بني سلمة، ويزيد[4] بن ثابت من بني النَّجار.

(*) وفي هـ: حتى نزل بواديها إلى الرجيع.

(1) الحديث رواه أحمد في مسنده ٦ / ٢٧٥ مرفوعًا ونصه «لا يترك بجزيرة العرب دينان» ونحوه في موطأ مالك مرسلا كتاب المدينة: ١٨، ١٩.

(2) ومن البخاري فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد وعاملنا على الأموال؟! فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ «كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة؟ فقال: هذه كانت هزيلة من أبي القاسم. فقال: كذبتَ يا عدو الله. فأجلاهم عمر.

(3) في هـ، م جابر بن صخر – وهو عقبي، والتصويب من ابن هشام ٣ / ٢٦٩، والجمهرة: ٣٩٥.

(4) في هـ، م زيد، والتصويب من ابن هشام ٣ / ٢٦٩، والإصابة ٦ / ٦٥٠.

واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والأنصار، منهم عامر بن الأكوع وغيره.

وفى هذه الغزاة حرمت لحوم الحمر الأهلية، فأُكفئت القدور وهى تفور بلحمها.

وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مِشكم إلى النبى ﷺ شاة مصلية[١]، وجعلت السم فى الذراع منها، وكان أحبَّ اللحم إليه، فتناوله ولاك منه مضغةً ثم لفظها، وقال: إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم. وأكل معه بِشْر بن البَراء بن معرور، وازدرد لقمة فمات منها، ثم دعا باليهودية فاعترفت، ولم يقتلها؛ لإسلامها حينئذ[٢]، على ما قيل. ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها.

قدوم مهاجرة الحبشة:

وكان مهاجرةُ الحبشة قد جاء جماعة منهم إلى مكة قبل الهجرة حين سمعوا بإسلام قريش، ثم هاجروا إلى المدينة، وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خيبر، بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأنهم ليقدمهم عليه، فقدم جعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وبنوهما عبد الله ومحمد وعون، وخالد بن سعيد بن العاصى بن أمية وامرأته أمينة بنت خلف[٣]، وابناهما سعيد وأم خالد[٤]، وعمرو بن سعيد بن العاصى، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة حليف أبى سعيد بن العاصى، وَلى بيت المال لعمر، وأبو موسى الأشعرى حليف آل عتبة بن ربيعة، والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أخى خديجة، وجَهم بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابناه عمرو وخزيمة، والحرث بن خالد بن صخر بن تيم[*] وعثمان بن ربيعة بن أهْبان من بنى جمح، ومحمية[٥] بن جزء الزبيدى حليف بنى سهم، وَلى لرسول الله ﷺ الأخماس، ومعمر بن عبد الله[٦] بن نضلة من بنى عدى، وأبو حاطب[٧] بن عمرو بن

---

(١) شاة مصلية أى مشوية. (٢) والإسلام يجبّ ما قبله.

(٣) أمينة بنت خلف هكذا جاءت فى ابن هشام ٣ / ٢٧٠، واضاف ويقال همينة. وفى الإصابة ٧: ٥٠٩ ذكر أمينة وهمينة وزاد أميمة.

(٤) أم خالد كنيتها، واسمها أمة بنت خالد بن سعيد بن العاصى.

(*) فى هـ: تميم وهو خطأ (الجمهرة: ١٣٦).

(٥) وفى هـ: محنية بن حذاء والصواب محمية بن جَزء، وهو ما أثبته من الإصابة ٦ / ٤٤.

(٦) فى م: معمر أبو عبد الله والصواب معمر بن عبد الله وهو ما أثبته، انظر الإصابة ٦ / ١٩٠.

(٧) هكذا جاء فى الإصابة ترجمة ٩٧٣٠ وفى ابن هشام ٣ / ٢٧٢؛ وجاء باسم حاطب فى الإصابة ترجمة ١٥٤٣ .. أهـ.

عبد شمس بن عامر بن لؤى، وأبو عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس، فكان هؤلاء آخر من بقى بأرض الحبشة.

ولما قدم جعفر على النبى ﷺ يوم فتح خيبر قَبّل ما بين عينيه والتزمه وقال: «ما أدرى بأيهما أنا أسَرُّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»![1]

فتح فَدَك ووادى القُرى

ولما اتصل بأهل فدك شأن أهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه الأمان على أن يتركوا الأموال، فأجابهم إلى ذلك، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فلم يقسمها، ووضعها حيث أمره الله.

ثم انصرف عن خيبر إلى وادى القرى فافتتحها عنوة، وقسمها، وقُتل به غلامه مدْعَم[2]. قال فيه لما شهد له الناس بالجنة: «كلا إن الشَّملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه ناراً»![3] ثم رحل إلى المدينة فى شهر صفر.

عمرة القضاء[4]

وأقام ﷺ بعد خيبر إلى انقضاء شوال من السنة السابعة، ثم خرج فى ذى القعدة لقضاء العمرة التى عاهدته عليها قريش يوم الحديبية وعقد لها الصلح، وخرج ملأ من قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرهاً فى لقائه، فقضى عمرته، وتزوج بعد إحلاله بميمونة بنت الحرث من بنى هلال بن عامر خالة ابن عباس وخالد بن الوليد، وأراد أن يبنى بها وقد تمت الثلاث التى عاهدته قريش على المقام بها، وأوصوا إليه بالخروج، وأعجلوه عن ذلك، فبنى بها بسَرِف.

غزوة جيش الأمراء[5]

وأقام رسول الله ﷺ بعد منصرفه من عمرة القضاء إلى جمادى الأولى من السنة

---

(١) عن الشعبى قال: لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر تلقاه جعفر بن أبى طالب، فالتزمه رسول الله ﷺ، وقبل ما بين عينيه وقال: «ما أدرى بأيهما أنا فرح: بقدوم جعفر أو بفتح خيبر» الطبقات الكبرى ٨ / ٢٣.

(٢) مدعم الاسود مولى رسول الله ﷺ جاءه سهم عابر من يهود وادى القرى قتله فكان ذلك سبباً فى بداية القتال بعد أن لم تجد معهم الدعوة إلى الإسلام.

(٣) الحديث صحيح رواه مالك فى موطأه والشيخان عن أبى هريرة (الإصابة ٦ / ٦١).

(٤) وأيضاً عمرة القضية لأن النبى ﷺ قاضى قريشا عليها، كما سميت عمرة القصاص لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وهذه الآية فيها نزلت.

(٥) وهى غزوة مؤتة سميت بجيش الأمراء لأن الرسول ﷺ أمَّر عليها ثلاثة من أصحابه إذا =

الثامنة، ثم بعث الأمراء إلى الشام، وقد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهم من كبراء قريش، وقد كان عمرو بن العاصي مضى عن قريش إلى النجاشي يطلبه في المهاجرين الذين عنده، ولقى هنالك عمرو بن أمية الضمرى وافد النبي ﷺ، فغضب النجاشي لما كلمه في ذلك، فوفقه الله ورأى[1] الحق، فأسلم وكتم إسلامه، ورجع (عمرو بن العاصي) إلى قريش، ولقى خالد بن الوليد فأخبره فتفاوضا، ثم هاجرا إلى النبي ﷺ فأسلما. وبعث رسول الله ﷺ خالداً مع بعث الشام، وأمر على الجيش مولاه زيد بن حارثة، نحواً من ثلاثة آلاف، وقال: إن أصابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن أصابه قدر فالأمير عبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً عليهم، وشيعهم ﷺ وودعهم.

ونهضوا حتى انتهوا إلى مَعَان من أرض الشام، فأتاهم الخبر بأن هرَقْل ملك الروم قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لخم وجذام وقبائل قضاعة من بَهرا وبَلى وبلقيْن[2] عليهم مالك بن رافلة[3] من بني إراشة، فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب إلى رسول الله ﷺ، وانتظار أمره ومدده.

ثم قال لهم عبد الله بن رواحة: «أنتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به». فانطلقوا إلى جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة واقتتلوا.

فقتل زيد بن حارثة ملاقيًا بصدره الرماح والراية في يده، فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذها بيساره فقطعت كذلك، وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة.

فأخذها عبد الله بن رواحة وتردد عن النزول بعض الشيء، ثم صمم إلى العدو فقاتل حتى قتل.

فأخذ الراية ثابت بن أقرم من بني العَجْلان، وناولها لخالد بن الوليد، فانحاز

= استشهد أحدهم تولى الآخر فإذا استشهد الثالث ترك الامر للمحاربين ليختاروا منهم واحداً أميراً عليهم.

(1) في هـ: فعل (رأى) جاء مبنياً للمجهول. رىء الحق.

(2) في هـ، م (بلقيس) والصواب بلقين ما أثبته من الطبرى ٣ / ٣٧.

(3) وهكذا في الطبرى ٣ / ٣٧؛ وفي ابن حزم (راقلة) بالقاف.

بالمسلمين.

وأنذر النبى ﷺ بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر وفى يوم قتلهم، واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة. ورجعوا إلى النبى ﷺ فأحزنه موت جعفر، ولقيهم خارج المدينة، وحمل عبد الله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبى، وبكى عليه واستغفر له، وقال: «أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة»(١) فسمى ذا الجناحين.

فتح مكة

كان رسول الله ﷺ حين عقد الصلح بينه وبين قريش فى الحديبية، أدخل خزاعة فى عقده، المؤمن منهم والكافر، وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى عقدها، وكانت بينهم تراتٌ فى الجاهلية وذحول كان فيها الأول للأسود بن رَزْن من بنى الدُّئل بن بكر بن عبد مناة، وثأرهم عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عبّاد الحضرمى، وكانوا قد عدوا على رجل من خزاعة فقتلوه فى مالك بن عبّاد حليفهم، وعدت خزاعة على سُلْمَى وكُلثوم وذؤيْب بنى الأسود بن رزن، فقتلوهم، وهم أشراف بنى كنانة، وجاء الإسلام فاشتغل الناس به، ونسوا أمر هذه الدماء، فلما انعقد هذا الصلح من الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضًا، فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصة فى إدراك الثأر من خزاعة بقتلهم بنى الأسود بن رزن، وخرج نوفل بن معاوية الدؤلى فيمن أطاعه من بنى بكر بن عبد مناة، وليس كلهم تابعه، وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم، وانحجزوا فى دور مكة ودخلوا دار بُدَيْل بن ورقاء الخزاعى، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد، فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم فى وفد من قومهم إلى رسول الله ﷺ مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش، فأجاب ﷺ صريخهم، وأخبرهم بأن أبا سفيان يأتى يشد العقد ويزيد فى المدة، وأنه يرجع بغير حاجة، وكان ذلك سببًا للفتح، وندمت قريش على ما فعلوا.

فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد فى المدة، ولقى بُدَيْل بن ورقاء بعُسْفان فكتمه الخبر، وورّى له عن وجهه، وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فطوت دونه فراش النبى ﷺ، وقالت: لا يجلس عليه مشرك، فقال لها: قد

(١) فى صحيح الجامع الصغير: قال ﷺ: «رأيت جعفر بن أبى طالب ملكا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين» رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة.

أصابك بعدى شر يا بنية. ثم أتى المسجد وكلم النبى ﷺ فلم يجبه، فذهب إلى أبى بكر وكلمه أن يتكلم فى ذلك فأبى، فلقى عمرَ فقال: واللهِ لو لم أجد إلا الذرّ[1] لجاهدتكُم به، فدخل على علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبيًّا، فكلمه فيما أتى له، فقال على: ما نستطيع أن نكلمه فى أمر عزم عليه. فقال لفاطمة: يا بنت محمد أما تأمرى ابنك هذا ليجير بين الناس؟. فقالت: لا يجير أحد على رسول الله. فقال له على: يا أبا سفيان أنت سيد بنى كنانة، فقم وأجر وارجع إلى أرضك. فقال: ترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا. قال: ما أظنة ولكن لا أجد لك سواه. فقام أبو سفيان فى المسجد فنادى: ألا إنى قد أجرت بين الناس، ثم ذهب إلى مكة وأخبر قريشًا، فقالوا ما جئت بشىء، وما زاد ابن أبى طالب على أن لعب بك.

ثم أعلم رسولُ الله ﷺ أنه سائر إلى مكة، وأمر الناس بأن يتجهزوا، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش. وكتب إليهم حاطب بن أبى بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة[2]، فأوحى الله إليه ﷺ بذلك، فبعث علياً والزبير والمقداد إلى الظعينة فأدركوها بروضة خاخ، وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئًا، وقالوا: رسول الله ﷺ أصدق، فقال على: لَتُخرجِنَّ الكتابَ أو لتلقين الحوائج، فأخرجته من بين قرون رأسها. فلما قُرِئَ على النبى ﷺ قال: «ما هذا يا حاطب؟! فقال: يا رسول الله والله ما شككت فى الإسلام ولكنى ملصق فى قريش فأردت عندهم يداً يحفظونى بها فى مخلف أهلى وولدى. فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق! فقال: «وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم»![3].

وخرج ﷺ لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة فى عشرة آلاف، فيها من سليم ألف رجل، وقيل سبعمائة، ومن مُزَيْنة ألف، ومن غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، وطوائف من قريش، وأسد وتميم، وغيرهم من سائر القبائل، جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار، واستخلف أبا رُهْم الغفارى على المدينة.

ولقيه العباس بذى الحليفة، وقيل بالجحفة مهاجراً فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه غازيًا، ولقيه بنيق العقاب[4] أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية مهاجرَيْن،

---

(١) الذّر: أصغر النمل، ويقول السهيلى فى الروض الأنف له: وإن كان الذر لا يقاتل به إلا أن هذا الكلام ليس بكذب؛ لأنه جرى فى كلام العرب كالمثل.

(٢) القصة كلها يرويها البخارى عن على بن أبى طالب فى كتاب المغازى باب ٤٨ باب الفتح.

(٣) رواه البخارى كتاب المغازى ٣ / ٦٠.

(٤) نيق العُقاب: موضع بين مكة والمدينة.

واستاذنا فلم يؤذن لهما، وكلمته أم سلمة فاذن لهما وأسلما، فسار حتى نزل مرّ الظّهران، وقد طوى الله أخباره عن قريش، إلا انهم يتوجسون الخيفة.

وخشى العباس تلاف قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا، فركب بغلة النبى ﷺ وذهب يتحسس، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتحسسون الخبر، وبينما العباس قد أتى الأراك ليلقى من السابلة من ينذر أهل مكة إذ سمع صوت أبى سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر، فيقول بديل: نيران بنى خزاعة، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ بالناس، والله إن ظفر بك ليقتلنك، واصباح قريش، فارتدف خلفى، ونهض به إلى المعسكر.

ومر بعمر فخرج يشتدّ إلى رسول الله ﷺ يقول: «الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد» فسبقه العباس على البغلة، ودخل على أثره، فقال: يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعنى أضرب عنقه. فقال العباس: قد أجرته. فزأره عمر. فقال العباس: لو كان من بنى عدى ما قلتَ هذا ولكنه من عبد مناف. فقال عمر: والله لإسلامك كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لأنى أعرف أنه عند رسول الله ﷺ كذلك! فأمر رسول الله ﷺ العباس [أن][1] يحمله إلى رحله ويأتيه به صباحًا، فلما أتى به قال له ﷺ: «ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله»؟! فقال: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنّا» فقال: «ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله» قال: «بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك.. أما هذه ففى النفس منها شىء». فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك. فأسلم، فقال العباس «يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا» قال: «نعم: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[2].

ثم أمر العباس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادى ليرى جنود الله، ففعل ذلك، ومرت به القبائل قبيلة قبيلة، إلى أن جاء مركب رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار عليهم

---

(١) زيادة من م.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده: ٢ / ٢٩٢، ٥٣٨ «ومن دخل المسجد فهو آمن» زيادة من ابن أبى شيبة. وعند أبى داود بزيادة على ما تقدم «ومن ألقى سلاحه فهو آمن» تيسير الوصول ٣ / ٢٧٣.

الدروع البيض، فقال: من هؤلاء؟ فقال العباس: هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار، فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال: يا أبا سفيان إنها النبوة[١] فقال: هى إذًا، فقال له العباس: النجاء إلى قومك، فأتى مكة وأخبرهم بما أحاط بهم وبقول النبى ﷺ: من أتى المسجد أو دار أبى سفيان أو أغلق بابه.

ورتب ﷺ الجيش وأعطى سعد بن عبادة الراية، فذهب يقول: اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الحرمة.

وبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأمر عليًا أن يأخذ الراية منه، ويقال أمر الزبير، وكان على الميمنة خالد بن الوليد، وفيها أسْلم وغفار ومُزيْنة وجُهَيْنة، وعلى الميسرة الزبير، وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح، وسَرَّب رسول الله ﷺ الجيوش من ذى طُوَى، وأمرهم بالدخول إلى مكة: الزبير من أعلاها، وخالد من أسفلها، وأن يقاتلوا من تعرض لهم. وكان عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال [الحرمة][٢] فناوشتهم أصحاب خالد القتال.

واستشهد من المسلمين كُرْز بن جابر من بنى محارب، وخُنَيْس بن خالد[٣] من خزاعة، وسلمة بن جهينة[٤]، وانهزم المشركون، وقتل منهم ثلاثة عشر، وأمَّن النبى ﷺ سائر الناس. وكان الفتح لعشر بقين من رمضان.

وأهدر ﷺ دم جماعة من المشركين سماهم يومئذ.

(دماء أهدرت) منهم عبد الله[٥] بن خطل بن بنى تيم الأدْرم بن غالب، كان قد أسلم، وبعثه رسول الله ﷺ مصدقًا (ومعه رجل من المشركين)[٦]، فقتله، وارتد، ولحق بمكة، وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة، فقتله سعيد بن حُرَيْث[٧] المخزومى، وأبو بَرْزة الأسلمى.

---

(١) حديث صحيح رواه ابن هشام عن ابن اسحاق بدون إسناد، لكن رواه عنه ابن جرير والطبرانى موصولاً وبعضه فى صحيح البخارى.

(٢) زيادة أثبتها من م. (٣) وصحته حُبيْش بن خالد، وهو الأشعر بن ربيعة (الإصابة: ٥ / ٢٧).

(٤) وهو سلمة بن الميلاء من جهينة الطبرى: ٣ / ٥٨).

(٥) (عبد الله بن خطل) فى هـ، م (عبد العزى)، والتصويب من ابن هشام ٤ / ٣١٢، والطبرى ٣ / ٥٩.

(٦) ما بين قوسين خطأ، وفى رواية ابن إسحاق فى ابن هشام ٣ / ٣١٢، والطبرى ٣ / ٥٩ وهو الصواب: «... وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه، وكان مسلمًا..».

(٧) فى م: سعد بن حريث والصواب سعيد. ابن هشام ٣ / ٣١٢.

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح، كان يكتب للنبى ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة، ونعيت عنه أقوال(١) فاختفى يوم الفتح، وأتى به عثمان بن عفان، وهو أخوه من الرضاعة، فاستأمن له، فسكت عليه السلام ساعة ثم أمّنه، فلما خرج قال لأصحابه: هلا ضربتم عنقه؟ فقال له بعض الأنصار: هلاً أومأت إلىّ؟ قال: «ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين»(٢) ولم يظهر [منه](٣) بعد إسلامه إلا خير وصلاح، واستعمله عمر وعثمان.

ومنهم الحويرث بن نقيد(٤) من بنى عبد قصى، كان يؤذى رسول الله ﷺ بمكة، فقتله على بن أبى طالب يوم الفتح.

ومنهم مقْيَس بن صُبابة(٥)، كان هاجر فى غزوة الخندق؛ ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطًا وودّاه، فقتله وفر إلى مكة مرتدًّا، فقتله يوم الفتح نميلة بن عبد الله الليثى، وهو ابن عمه.

ومنهم قينتا ابن خَطَل، كانتا تغنيان بهجو النبى ﷺ، فقتلت إحداهما، واستؤمن للأخرى فأمّنها.

ومنهم مولاة لبنى عبد المطلب اسمها سارة(٦)، واستؤمن لها، فأمنها رسول الله ﷺ، واستجار رجلان من بنى مخزوم بأم هانئ بنت أبى طالب، يقال إنهما الحرث بن هشام وزهير بن أبى أمية أخو أم سلمة، فأمنتهما، وأمضى رسول الله ﷺ أمانها فأسلما.

[**دخول الرسول ﷺ المسجد**] ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد وطاف بالكعبة، وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته، فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، وأبقى له حجابة البيت، فهى فى ولد شيبة

---

(١) قد ادعى كذبًا أنه كان يُغيِّر فيما يملى عليه، فكان إذا أمره ﷺ أن يكتب مثلاً (عزيز حكيم) كتب (غفور رحيم).

(٢) رواه الحاكم وأبو داود عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص.

(٣) ما بين قوسين زيادة مثبتة فى م.

(٤) ابن نفيل فى هـ وفى م ابن نقيد (بالدال)، والصواب ابن نقيذ بالذال وهو ما أثبته، والتصويب من أنساب الأشراف ٣٥٧، ٣٥٩.

(٥) مقْيَس بن صبابة جاءت هكذا فى الطبرى ٣ / ٦٠؛ وفى ابن هشام ٤ / ١٢ حبابة.

(٦) وسارة هذه هى التى كان معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة. وفى الإصابة ٧ / ٦٩٠ أنها كانت مولاة لعمرو بن هاشم بن المطلب، وعليه فيجب تصويب العبارة عاليه (ومنهم مولاة لبنى عبد المطلب) إلى (مولاة لبنى المطلب).

إلى اليوم[١].

[**تحطيم الأصنام**] وأمر بكسر الصور[٢] داخل الكعبة وخارجها، وبكسر الأصنام حواليها، ومر عليها وهى مشدودة بالرصاص بشير إليها بقضيب فى يده وهو يقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا»[٣] فما بقى منها صنم إلا خرَّ على وجهه، وأمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة.

[**خطبة النبى ﷺ / خطبة الفتح**] ووقف رسول الله ﷺ بباب الكعبة ثانى يوم الفتح، وخطب خطبته المعروفة،[٤] ووضع مآثر الجاهلية إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، وأخبر أن مكة لم تحل لأحد قبله ولا بعده، وإنما أُحلت له ساعةً من نهار، ثم عادت كحرمتها بالأمس. ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثورة أو دم أو مال يُدعى فى الجاهلية فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج، ألا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة، منها أربعون فى بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خُلق من تراب، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾[٥] إلى خبير. يا معشر قريش ويا أهل مكة: ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطُّلقاء» وأعتقهم على الإسلام، وجلس لهم فيما قيل على الصفا، فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا.

[**بيعة النساء**] ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء: أمر عمر بن الخطاب أن يبايعهن، واستغفر لهن رسول الله ﷺ؛ لأنه كان لا يمس امرأة حلالاً ولا حرامًا، وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن، واتبعه عمير بن وهب من قومه بأمان النبى ﷺ له، فرجع، وأنظره أربعة أشهر، وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران، ورجع فأسلم. وهرب هُبَيْرة بن أبى وهب المخزومى زوج أم هانئ إلى اليمن فمات هنالك كافراً.

---

(١) فقد دفع النبى ﷺ مفتاح الكعبة فى يد عثمان بن طلحة وقال: «خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم».

(٢) ومنها صورتان لابراهيم واسماعيل يستقسمان بالازلام فقال ساخطًا على المشركين: «قاتلهم الله، والله ما استقسما بها قط» (رواه البخارى عن ابن عباس).

(٣) من حديث ابن مسعود فيما يرويه الشيخان والترمذى، ورواه مسلم من حديث أبى هريرة.

(٤) المعروفة بخطبة الفتح ورواها الشيخان وغيرهما.

(٥) سورة الحجرات الآية ١٣.

[**إرسال السرايا حول مكة**] ثم بعث النبي ﷺ السرايا حول مكة، ولم يأمرهم بقتال، وفي جملتهم خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فقتل منهم، وأُخذ ذلك عليه، وبعث ﷺ إليهم عليًا بمال فودىَ لهم قتلاهم، ورد عليهم ما أخذ لهم.

[**هدم العُزَّى**] ثم بعث رسول الله ﷺ خالداً إلى العزى، بيت بنخلة كانت مضر من قريش تعظمه وكنانة وغيرهم، وسدنته بنو شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم فهدمه.

ثم إن الأنصار توقفوا إلى أن يقيم ﷺ (في) داره بعد أن فتحها، فأغمهم ذلك وخرجوا له، فخطبهم ﷺ وأخبرهم «إن المحيا محياهُم والمماتَ مماتهم»(1) فسكتوا لذلك واطمأنوا.

غزوة حنين

وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة، فبلغه أن هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون إلى مكة وقد نزلوا حُنَيْنًا، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ بالمدينة يظنون أنه إنما يريدهم، فاجتمعت هوازن إلى مالك بن عوف من بني نصر(2)، وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وبني جُشم بن معاوية، وبني سعد بن بكر، وناسًا من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، والأحلاف، وبني مالك بن ثقيف بن بكر،ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، وفي جشم دُرَيْد بن الصِّمَّة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن غَزِيّة(3) بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤتم برأيه ومعرفته. وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب. وفي بني مالك ذو الخمَار سُبَيْع بن الحرث بن مالك، وأخوه أحمر، وجميع أمر الناس إلى مالك بن عوف، فلما أتاهم أن رسول الله ﷺ فتح مكة أقبلوا عامدين إليه.

وأسار مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، يرى أنه أثبتُ لموقفهم، فنزلوا بأوطاس، فقال دريد بن الصمة لمالك: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير؟ فقال: أموال الناس وأبناؤهم سقناها معهم ليقاتلوا عنها، فقال: «راعي

(1) الحديث في مسلم كتاب الجهاد باب 86، ومسند أحمد 2 / 538.

(2) هكذا في م؛ وفي هـ، تصير وهو خطأ والصواب ما أثبته، الجمهرة: 269.

(3) هكذا في م وهو الصواب؛ وفي هـ: (أزيه) وهو خطأ مطبعي.

ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟! إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسلاحه، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك».

ثم سأل عن كعب وكلاب، وأسف لغيابهم، وأنكر على مالك رأيه ذلك، وقال: «لم تصنع بتقديم بيضة[1] هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ثم ألق الصبيان على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك مَن وراءك، وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت أهلك ومالك». وأبى عليك مالك، واتبعه هوازن.

ثم بعث النبى ﷺ عبد الله بن أبى حَدْرد الأسلمى يستعلم خبر القوم، فجاءه وأطلعه على جلية الخبر، وأنهم قاصدون إليه، فاستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية[2] مائة درع، وقيل أربعمائة.

[**الذين ساروا مع النبى ﷺ إلى ثقيف**] وخرج فى اثنى عشر ألفا من المسلمين: عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة، وألفان من مسلمة الفتح، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية، ومضى لوجهه. وفى جملة من اتبعه عباس بن مرداس، والضحَّاك بن سفيان الكلابى، وجمع من عبس وذبيان ومزينة وبنى أسد. ومر فى طريقه بشجرة سدر خضراء، وكان لهم فى الجاهلية مثلها، يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواط، فقالوا: [فقال له جفاة الأعراب[3]]: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال لهم: «قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة!! والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم وأجرم من ذلك»[4].

[**يوم حنين**] ثم نهض حتى أتى وادى حنين من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة، وهو وادى حزن[5]، فتوسطوه فى غبش الصبح، وقد كمنت هوازن فى جانبيه، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد، فولَّى المسلمون لا يلوى أحد على أحد، وناداهم ﷺ فلم يرجعوا، وثبت معه أبو بكر، وعمر، وعلى، والعباس، وأبو سفيان

---

(١) البيضة هنا النساء؛ فالمرأة تشبه بالبيضة فى لونها وصيانتها، وبيضة القوم حوزتهم وحماهم.

(٢) وهو يومئذ مشرك ويقول أبو زهرة ٢ / ١٠٣٨ فى خاتم النبيين: ولعله كان فى المدة التى جعل لنفسه الخيار فيها، بين البقاء على ما هو عليه والإسلام.

(٣) ما بين القوسين زيادة فى م، وفى ابن هشام ٣ / ٣٣٤ قال الحارث بن مالك (الليثى) قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية.. وذكر موضوع الشجرة.. ثم قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط...

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده ٥ / ٢١٨، ٢٤٠، والترمذى فى الفتن: ١٨.

(٥) وادى حَزْن: أى وَعْر.

ابن الحرث، وابنه جعفر، والفضل وقُثَم ابنا العباس، وجماعة سواهم، والنبى ﷺ على بغلته البيضاء دُلْدُل، والعباس آخذ بشكائمها، وكان جهير الصوت، فأمره رسول الله ﷺ أن ينادى بالأنصار وأصحاب الشجرة[1]، قيل وبالمهاجرين، فلما سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا، فصدّهم ازدحام الناس عن أن يثنوا رواحلهم، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتروسهم، واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبى ﷺ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة، فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون.

واشتدت الحرب وحمى الوطيس، وقذف الله فى قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى رسول الله ﷺ، فلم يملكوا أنفسهم، فولوا منهزمين، ولحق آخر الناس وأسرى هوازن مغلولة بين يديه. وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم، واستحر القتل فى بنى مالك من ثقيف، فقتل منهم يومئذ سبعون رجلا فى جملتهم ذو الخمار[2] وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيداهم، وأما قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثقيف ففر بقومه منذ أول الأمر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد. ولحق بعضهم بنخلة، وهرب مالك بن عوف النصرى مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثقيف، وانحازت طوائف هوازن إلى أوطاس، واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فادركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه، يقال قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس[3] [ويقال عبد الله بن سبيع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس[4]].

[**موقعة أوطاس**] وبعث ﷺ إلى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الأشعرى عم أبى موسى فقاتلهم، وقُتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة، فأخذ أبو موسى الراية، وشد على قاتل عمه فقتله، وانهزم المشركون.

---

(١) أصحاب الشجرة: أصحاب بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٢) ذو الخمار هو عوف بن ربيع بن حارثة (هكذا فى جمهرة الأنساب ١٩٥ وابن هشام ٤ / ٣٤٠ وفى الشامية ٥ / ٤٩٢ وذكر أن اسمه فى شرح الغريب: سبيع بن أبا الحارث. ولم أجد فى ابن هشام ولا الطبرى ما يشير إلى أنه أخ لعثمان بن عبد الله بن ربيعة كما ذكر المصنف..

(٣) وفى الاستيعاب ٢ / ٤٩١ ربيعة بن رفيع بن اهبان بن ثعلبة السلمى.. وهو قاتل دريد بن الصمة.

(٤) ما بين قوسين زيادة أثبتها محقق النسخة م وعزاها إلى نسخة الشنقيطى الخطية.

واستحر القتال فى بنى رئاب(١) من بنى نصر بن معاوية، وانفضت جموع أهل هوازن كلها.

[**من الشهداء**] واستشهد من المسلمين يوم الخميس أربعة، منهم أيمن بن أم أيمن أخو أسامة لأمه، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وسراقة بن الحرث من بنى العجلان، وأبو عامر الأشعرى.

حصار الطائف

ثم أمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فحبست بالجعْرانة(٢) بنظر مسعود بن عمرو الغفارى، وسار من فوره إلى الطائف فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة، وقاتلوا من وراء الحصون، وأسلم من كان حولهم من الناس، وجاءت وفودهم إليه، وقد كان مر فى طريقه بحصن مالك بن عوف النصرى، فأمر بهدمه. ونزل على أطم لبعض ثقيف فتمنع فيه صاحبه، فأمر بهدمه، فاخرب، وتحصنت ثقيف. وقد كان عروة بن مسعود وغَيْلان ابن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جُرَش(٣) يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحصار لما أحسوا من قصد رسول الله ﷺ إياهم، فلم يشهدا الحصار ولا حُنينًا قبله، وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو بضعا وعشرين ليلة، واستشهد بعضهم بالنبل، ورماهم ﷺ بالمنجنيق، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة ودنوا إلى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة، ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قومًا، وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم، ورغّب إليه ابن الأسود بن مسعود فى ماله وكان بعيداً من الطائف، وكف عنه، ثم دخل إلى الطائف وتركهم، ونزل أبو بَكْرة فأسلم(٤).

واستشهد من المسلمين فى حصاره سعيد بن سعيد بن العاصى، وعبد الله بن أبى

---

(١) فى هـ: رباب وهى مصحفة.

(٢) الجعْرانة بتسكين العين وتخفيف الراء عند الحجازيين: ماء بين مكة والطائف، وهى إلى مكة أدنى (معجم ما استعجم).

(٣) جرش: بلدان يحملان هذا الاسم، إحداهما باليمن والأخرى بالشام، ونرجح أن عروة بن مسعود وصاحبه ذهبا إلى الثانية، وذلك لكون اليمن جبلية سلاحهم فيها السيف والرمح والنبل، كما أن بلاد الشام مسرح للاشتباكات بين دولتى الفرس والروم وهى حروب نظامية تتبارى فيها الدولتان بكل سلاح.

(٤) واسمه نفيع بن الحارث، سمى أبا بكرة لكونه تدلى إلى النبى ﷺ يوم الطائف من حصنها ببكرة، حيث أعلن إسلامه، فاشتهر بأبى بكرة.

أمية بن المغيرة أخو أم سلمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى فى آخرين قريباً من اثنى عشر، فيهم أربعة من الانصار.

[**رد غنائم هوازن**] ثم انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة، وأتاه هناك وفد هوازن مسلمين راغبين، فخيرهم بين العيال والأبناء والأموال، فاختاروا العيال والأبناء، وكلموا المسلمين فى ذلك بأمر رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم» وقال المهاجرون والأنصار: «ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ». وامتنع الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهما من الفئ، وساعدهم قومهم، وامتنع العباس بن مرداس كذلك، وخالف بنو سليم، وقالوا: «ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ» فعوض رسول الله ﷺ من لم تطب نفسه عن نصيبه، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم.

[**الشيماء أخت النبى ﷺ**] وكان عدد سبى هوازن ستة آلاف بين ذكر وأنثى، فيهن الشيما أخت النبى ﷺ من الرضاعة، وهى بنت الحرث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر من هوازن، وأكرمها رسول الله ﷺ وأحسن إليها، وخيرها فاختارت قومها، فردها إليهم، وقسم الأموال بين المسلمين.

[**المؤلفة قلوبهم**] ثم أعطى من نصيبه من خُمس الخمس قوماً يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم، فمنهم من أعطاه مائة مائة، ومنهم خمسين خمسين، ومنهم ما بين ذلك، ويسمون المؤلفة، وهم مذكورون فى كتب السير يقاربون الاربعين[1].

منهم أبو سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، ومالك بن عوف وغيرهم.

ومنهم عُيَيْنة بن حصن بن حذيفة بن بدر، والأقرع بن حَابس، وهما من أصحاب المائة، وأعطى عباس بن مِرْداس دونهما، فانشده أبياته المعروفة يتسخط فيها، فقال النبى ﷺ: «اقطعوا عنى لسانه»[2] فاتموا إليه المائة.

---

(١) وقد جمعهم الشامى الصالحى فى «سبل الهدى والرشاد» ثم عقب بعد ذكر أسماءهم ٥ / ٥٨٢، فهؤلاء بضع وخمسون رجلاً لعلك لا تجدهم مجموعين محررين هكذا فى كتاب غير هذا الكتاب والله الموفق للصواب.

(٢) لمن يكن العطاء للمؤلفة قلوبهم على قدر أعمالهم كما فهم عباس بن مرداس بل كان العطاء لتأليف قلوب الرجال وأقوامهم، واعتراض عباس لأنه جاهد أكثر من عيينة والأقرع وكان =

ولما أعطى المؤلفة قلوبهم وَجَد الأنصارُ فى أنفسهم إذ لم يعطهم مثل ذلك، وتكلم شبانهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويتركهم، فجمعهم ووعظهم وذكرهم، وقال: «إنما أعطى قومًا حديثى عهد بالإسلام أتألفهم عليه، أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبعير وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار ولو سلك الأنصار شعْبًا وسلك الناس شعبًا لسلكت شعب الأنصار» فرضوا وافترقوا.

[**عمرة النبى ﷺ الثالثة**] ثم اعتمر رسول الله من الجعرانة إلى مكة[1].

ثم رجع إلى المدينة فدخلها لست بقين من ذى القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شابًا ينيف عمره على عشرين، وكان غلبه الورع والزهد، فأقام الحج بالمسلمين فى سنته، وهو أول أمير أقام حج الإسلام. وحج المشركون على مشاعرهم.

وخلف بمكة معاذَ بن جبل يفقّه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن.

وبعث عمرو بن العاص إلى [أهل حنين[2]] جيفر وعبد ابنى الجلندى من الأزد عمان مصدّقًا، فأطاعوا له بذلك. واستعمل ﷺ مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وما له حوالى الطائف من ثقيف، وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم[3]، ففعل حتى جاءوا مسلمين كما يذكر بعد، وحسن إسلام المؤلفة قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده، وإن كانوا متفاوتين فى ذلك.

[**بانت سعاد**] ووفد على النبى ﷺ كعب بن زهير، فأهدر دمه، وضاقت به الأرض، وجاء فأسلم، وأنشد النبى ﷺ قصيدته المعروفة بمدحه التى أولها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول الخ.

= نصيبهم من العطاء أكثر، ومن هذه الأبيات:

فأصبح نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى المجمع

(١) وهذه هى عمرته ﷺ الثالثة بعد هجرته، فعمرته الأولى عام ٦هـ سنة الحديبية، وعمرة القضاء سنة ٧، وعمرته هذه من الجعرانة، أما عمرته الرابعة والأخيرة كانت مع حجه سنة عشر، فلقد كان قارنًا.

(٢) زيادة من نسخة الشنقيطى أضافها محقق النسخة م بدون تعليق، وهى زيادة لا محل لها.

(٣) وقد خرج عنها خوفًا على نفسه من أهلها بعد أن رد عليه رسول الله ﷺ ماله واستعمله فى التضييق عليهم ومهاجمة سرحهم، وهذا هو الموجود فى كتب السيرة.

وأعطاه بردةً فى ثواب مدحه، فاشتراها معاوية [من] ورثته بعد موته، وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً.

[**الوفود**] ووفد فى سنة تسع على رسول الله ﷺ بالمدينة بنو أسد فأسلموا، وكان منهم ضرار بن الأزْوَر، وقالوا: قدمنا يا رسول الله قبل أن يُرسَل إلينا، فنزلت: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾ [الحجرات: ١٧].

ووفد فيها وفد بَلِيّ[١] فى شهر ربيع الأول، ونزلوا على رويْفع بن ثابت البلوى، وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد منصرفه من الطائف فى ذى الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة.

[**جيش العسرة**] ثم أمر الناسَ بالتهيؤ لغزو الروم، وكان فى غزواته كثيرًا ما يورّى بغير الجهة التى يقصدها على طريقة الحرب [خدعة]، إلا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب وبُعد البلاد وفصل الفواكه[٢] وقلة الظلال، وكثرة العدو الذين يصدون، وتجهز الناس على ما فى أنفسهم من استثقال ذلك.

وطفق المنافقون يثبطونهم عن الغزو، وكان نفر منهم يجتمعون فى بيت بعض اليهود[٣]، فأمر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت،فخربها؛ واستأذن ابن قيس من بنى سلمة فى القعود فأذن له، وأعرض عنه.

وتدرب[٤] كثير من المسلمين بالإنفاق والحملان، وكان من أعظمهم فى ذلك عثمان بن عفان، يقال إنه أنفق فيها ألف دينار، وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهزّ ركابًا.

وجاء بعض المسلمين يستحمل رسولَ الله ﷺ، فلم يجد ما يحملهم عليه، فنزلوا باكين[٥] لذلك وحمل بعضهم [ابن[٦]] يامين بن عُمير النضرى، وهما أبو ليلى بن

(١) وفى هـ، م وفد تين، والتصويب من كتب السيرة، وبَلِيّ بفتح الباء وكسر اللام وتشديد الياء بطن من قضاعة والنسبة إليها بلوى.

(٢) وفصل الفواكه: أى حين طابت الثمار، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ولا يرغبون فى تركها ذلك الحين وخاصة أن الوقت صيف والحر شديد.

(٣) فى بيت يهودى يدعى سويلم، ففعل طلحة ما أمر به، ولكن أفلت المنافقون.

(٤) واعتقد أنها محرفة من تقرب أى لله.

(٥) البكاءون سبعة وقيل بل كانوا عشرة (راجع السيرة الشامية ٥/٦٣٣، ٦٣٤).

(٦) ما بين قوسين أضافها محقق النسخة م وعزاها إلى الشنقيطى، الصواب يامين بدون ابن، يقول=

كعب من بنى مازن بن النجار، وعبد الله بن المُغفل المزنى.

واعتذر المخلفون من الأعراب فعذرهم[١] رسولُ الله ﷺ، ثم نهض، وخلف على المدينة محمد بن مسلمة، وقيل بل سِباع بن عُرفُطة، وقيل بل على بن أبى طالب، وخرج معه عبد الله بن أبى ابن سلول فى عدد وعدة، فلما سار ﷺ تخلف هو فيمن تخلف من المنافقين.

[**ديار ثمود**] ومر ﷺ على ديار ثمود فأمر ان لا يستعمل ماؤها، ويعلف ما عجن منه للإبل، وأذن لهم فى بئر الناقة، وأمر أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا باكين، ونهى أن يخرج أحد منفرداً عن صاحبه، فخرج رجلان من بنى ساعدة، خُنق أحدهما فمسح عليه فشفى، والآخر رمته الريح فى جبل طى، فردّوه بعد ذلك إلى النبى ﷺ. وضلت ناقته ﷺ فى بعض الطريق، فقال أحد المنافقين: محمد يدّعى علم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته. فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «والله لا أعلم إلا ما علمنى الله، وإن الناقة بموضع كذا»، وكان قد أوحى إليه بها فوجدوها ثَم.

وكان قائل هذا القول زيد بن اللصيت من بنى قَيْنقُاع، وقيل إنه تاب بعد ذلك.

وفضح الوحى قومًا من المنافقين كانوا يُخذّلون الناس ويهولون عليهم أمر الروم، فتاب منهم مخشى بن حمير[٢] ودعا أن يكفّر عنه بشهادة ويخفى مكانه، فقتل يوم اليمامة.

[**صاحب أَيْلة وأهل جَرْباء وأذْرُح**] ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحينة[٣] ابن رؤبة صاحب أيلة وأهل جرباء وأذرح، فصالحوا على الجزية، وكتب لكل كتابًا.

وبعث ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من كِنْدة، كان ملكًا عليها، وكان نصرانيًا، وأخبر أنه يجده يصيد البقر، واتفق أن بقر الوحش باتت تَهدّ القصر بقرونها، فنشط أكيدر لصيدها، وخرج ليلاً فوافق وصوله خالداً،

= الصالحى الشامى فى سيرته ٥ / ٦٩٥ ابن يامين: كذا فى نسخة من السيرة الشامية والعيون «ابن يامين» وصوابه يامين بإسقاط ابن. انتهى وهو فى الإصابة وأسد الغابة (يا مين بن يامين)

(١) المخلفون الذين تخلفوا عن الخروج، و المعذرون الذين اعتذروا عن الخروج، وقد يكون المعذر صادقا وقد يكون كاذبًا، وكان منهم نيف وثمانون رجلاً اعتذروا كاذبين وهم المنافقون.

(٢) مخشى بن حُمَيْر مختلف فى اسمه واسم أبيه. ففى ابن هشام ٤ / ٣٨٦ مخشن بن حمير، ويقال مخشى. وفى الإصابة ٦ / ٥٣ مخشى بن حُمَيد، وفى الطبرى ٣ / ١٠٨ مخشى بن حمير.

(٣) وهو فى كتب السيرة يحنة من غير ياء.

فأخذه وبعث به إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنه، وصالحه على الجزية ورده، وأقام بتبوك عشرين ليلة، ثم انصرف، وكان فى طريقه ماء قليل نهى أن يسبق إليه أحد، فسبق رجلان واستنفدا ما فيه، فنكر عليهما ذلك، ثم وضع يده تحت وشله فصب ما شاء الله أن يصب، ونضح به الوشل، ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر، [وأخبر ﷺ سميلا جنانًا - خ[(1)]].

[**هدم مسجد الضّرار**][(2)] ولما قرب المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدُّخْشُم من بنى سالم ومعن بن عدى من بنى العجلان إلى مسجد الضرار فأحرقاه وهدماه، وقد كان جماعة من المنافقين بنوه، وأتوا إلى النبى ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فسألوه الصلاة فيه، فقال: إنا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه. فلما رجع أمر بهدمه.

[**الذين تخلفوا**] وفى هذه الغزاة تخلف كعب بن مالك من بنى سلمة ومُرارة بن الربيع من بنى عمرو بن عوف،وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين، فنهى ﷺ عن كلامهم خمسين يومًا، ثم نزلت توبتهم. وكان المتخلفون من غير عذر نيفًا وثلاثين رجلاً.

وكان وصوله ﷺ من تبوك فى رمضان سنة تسع.

وفيه كانت وفادة ثقيف وإسلامهم، ونزل الكثير من سورة براءة فى شأن المنافقين وما قالوه فى غزوة تبوك آخر غزوةٍ غزاها ﷺ.

إسلام عروة بن مسعود

ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان ﷺ لما أفرج عن الطائف وارتحل المدينة، اتبعه عُروة بن مسعود سيدهم، فأدركه فى طريقه وأسلم، ورجع يدعو قومه فرُمى بسهم فى سطح بيته وهويؤذن للصلاة فمات،

---

(1) إضافة من محقق النسخة م من الشنقيطى، ولا محل لها.

(2) مسجد الضرار هكذا سماه الله.. وقد بناه جماعة من المنافقين ليكون بؤرة شقاق ونفاق بين المسلمين ومركزًا لتجمع المتآمرين على الإسلام وأهله.. وقد دعوا رسول الله ﷺ أن يصلى فيه، وكان وقتها يستعد ويعد لغزو الروم فى تبوك فوعدهم بالصلاة فيه بعد العودة. وقد عاد منتصرًا فلقد جبن العدو على لقائه. وقبل دخوله المدينة بقليل نزلت الآيات تفضح أغراضهم الخبيثة من بناء مسجدهم ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله.. الآية ١٠٧ / التوبة فامر من حرقه وهدمه.

ومنع قومَه من الطلب بدمه، وقال: «هي شهادة ساقها الله إليّ» وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين. ثم قدم ابنه أبو المليح وقارب بن الأسود بن مسعود فأسلما.

وضيق مالك بن عوف على ثقيف، واستباح سرحهم، وقطع سابلتهم، وبلغهم رجوع النبي ﷺ من تبوك [واتخذوا في الوفادة – خ(١)] وعلموا أن لا طاقة لهم بحرب العرب، وفزعوا إلى عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالاً منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة، فبعثوا معه رجلين من أحلاف قومه، وثلاثًا من بني مالك، فخرج بهم عبد يا ليل وقدموا على رسول الله ﷺ في رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والإسلام، فضرب لهم قبة في المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاصي يمشي في أمرهم، وهو الذي كتب كتابهم بخطه وكانوا لا يأكلون طعامًا يأتيهم حتى يأكل منه خالد.

[**هدم اللات**] وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين رغبًا لنسائهم وأبنائهم حتى يانسوا فأبى، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة، قال: «لا خير في دين لا صلاة فيه»(٢). فسألوه أن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال: أما هذه فسنكفيكم منها، فأسلموا وكتب لهم، وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاصي أصغرهم سنا، لانه كان حريصًا على الفقه، وتعلم القرآن ثم رجعوا إلى بلادهم.

وخرج معه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة لهدم اللات، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها، وقام بنو مُعتّب دونه خشيةً عليه، ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحلي وقضى منه دين عروة والاسود ابني مسعود كما أمر النبي ﷺ، وقسم الباقي.

الوفود

ولما فرغ رسول الله ﷺ من تبوك، وأسلمت ثقيف، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، حتى لقد سميت سنة الوفود.

قال ابن إسحق: وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبي ﷺ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد

---

(١) زيادة من محقق النسخة م عزاها إلى الشنقيطي

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤ / ٢١٨ عن عثمان بن أبي العاصي يرفعه ولفظه «لا خير في دين لا ركوع فيه».

إسماعيل وقادتهم، لا ينكرون لهم، وكانت قريش هى التى نصبت لحربه وخلافه، فلما استُفتحت مكة، ودانت قريش، ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته، فدخلوا فى دينه أفواجًا يضربون إليه من كل وجه. انتهى.

فأول من قدم إليه بعد تبوك:

وفد بنى تميم، وفيه من رءوسهم عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس من بنى دارم ابن مالك والحُتات بن زيد[١] والأقرع بن حابس والزِّبر قان بن بدر من بنى سعد، وقيس ابن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وهما من بنى منقر، ونُعيم بن زيد[٢]. ومعهم عُيَيْنة بن حصن الفزارى، وقد كان الأقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف. ثم جاءا مع وفد بنى تميم، فلمّا دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات، فنزلت الآيات فى إنكار ذلك عليهم. ولما خرج: قالوا جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا، فأذن لهم، فخطب عطارد وفاخر ويقال والأقرع بن حابس، ثم أنشد الزبرقان بن بدر شعرًا بالمفاخرة، ودعا رسولُ الله ﷺ ثابت بن قيس بن الشماس من بنى الحرث بن الخزرج فخطب، وحسان بن ثابت فأنشد مُساجلَيْن لهم، فأذعنوا للخطبة والشعر، والسؤدد والحلم، وقالوا: هذا الرجل هو مؤيد من الله، خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا! ثم أسلموا وأحسن رسول الله ﷺ جوائزهم، وهذا كان شأنه مع الوفود ينزلهم إذا قدموا، ويجهزهم إذا رحلوا.

ثم قدم على رسول الله ﷺ فى آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حِمْيَرَ مع رسولهم، ومع الحرث بن عبد كُلاَل، ونُعَيْم بن عبد كُلاَل، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن، وهَمْدان، ومعافر[٣].

وبعث زُرْعة بن ذى يزن[٤] رسوله مالك بن مُرة الرهاوى[٥] بإسلامهم ومفارقة الشرك وأهله، وكتب إليهم النبى ﷺ كتابه وبعث إلى ذى يزن معاذ بن جبل مع رسوله مالك

---

(١) فى ابن هشام ٤ / ٤١٤ الحبحاب بن يزيد.

(٢) فى ابن هشام ٤ / ٤١٥ نعيم بن يزيد، وفى الإصابة ٦ / ٤٥٧ بن زيد، وقال: ذكره أبو عمر فى ترجمة الحتات، وسمى أباه يزيد.

(٣) القَيْل من ملوك اليمن فى الجاهلية دون الملك الاعظم.

(٤) ليس «ذى يزن» بأب مباشر لزرعة، بل قيل جد جده. انظر الاصابة ٢ / ٦٣٤.

(٥) مرة الرهاوى: اتفق النسابة على أنه مُرارة، وفى ضبط الرهاوى قالوا بضم الراء، والبعض بالفتح. انظر الاصابة ٥ / ٧٤٨.

ابن مرة يجمع الصدقات، وأوصاهم برسله: معاذ وأصحابه. ثم مات عبد الله بن أبى ابن سلول فى ذى القعدة، ونعى رسول الله ﷺ النجاشى، وأنه مات فى رجب قبل تبوك.

وقدم وفد بَهْراء فى ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن عمرو، وجاء بهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا.

وقدم وفد بنى البَكّاء ثلاثة نفر منهم.

وقدم وفد بنى فَزارة بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحُرّ بن قيس، فأسلموا.

ووفد عدى بن حاتم من طى فأسلمَ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث قبل تبوك إلى بلاد طى عليًّ بن أبى طالب فى سرية، فأغار عليهم، وأصيب حاتم[1] وسبيت ابنته، وغنم سيفين فى بيت أصنامهم كانا من قربان الحرث بن أبى شَمر، وكان عدى قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قُضاعة بالشام فراراً من جيوش المسلمين، وجواراً لأهل دينه من النصارى، وأقام بينهم.

إسلام عدى بن حاتم:

ولما سيقت ابنة حاتم جُعلت فى الحظيرة بباب المسجد التى كانت السبايا تحبس بها، ومر بها رسول الله ﷺ فكلمته أن يمنَّ عليها، فقال: قد فعلتُ ولا تعجلى حتى تجدى ذا ثقة من قومك يُبلغك إلى بلادك ثم آذنينى. قالت: فأقمت حتى قدم ركب من بنى قضاعة، وأنا أريد أن آتى أخى بالشام، فعرَّفت رسول الله ﷺ فكسانى وحملنى وزودنى، وخرجت معهم فقدمت الشام. فلما لقيها عدى تلاوما ساعة، ثم قال لها: ماذا ترين فى أمرى مع هذا الرجل؟ فأشارت عليه باللحاق به، فوفد، وأكرمه رسول الله ﷺ، وأدخله إلى بيته، وأجلسه على وسادته، بعد أن استوقفته فى طريقه امرأة فوقف لها، فعلم عدى أنه ليس بملك، وأنه نبى، ثم أخبره عن أخذه المرباع من قومه ولا يحل له، فازداد استبصاراً فيه، ثم قال: «لعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فيوشك أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، أو لعله يمنعك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، أو لعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى

(١) حاتم الطائى شاعر جاهلى اشتهر بالكرم مات قبل الإسلام حول عام ٦٠٥ وقيل قبل ذلك. فكيف يصاب فى سرية على بن أبى طالب فى العام التاسع للهجرة حوالى عام ٦٣٠م.

الملك والسلطان لغيرهم، فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت» فأسلم عدى وانصرف إلى قومه(١).

[**نزول أول براءة**] ثم أنزل الله على نبيه الأربعين آية من أول براءة فى نبذ هذا العهد الذى بينه وبين المشركين: أن لا يصدوا عن البيت. ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك، وأن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فيتم له إلى مدته، وأجّلهم أربعة أشهر من يوم النحر(٢)، فبعث رسول الله ﷺ بهذه الآيات أبا بكر، وأمّره على إقامة الحج بالموسم من هذه السنة، فبلغ ذا الحليفة، فاتبعه بعلى فأخذها منه، فرجع أبو بكر مشفقًا أن يكون نزل فيه قرآن، فقال له النبى ﷺ: لم ينزل شىء ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى، فسار أبو بكر على الحج، وعلىّ على الأذان(٣) ببراءة، فحج أبو بكر بالناس وهم على حج الجاهلية(٤)، وقام علىّ عند العقبة يوم الأضحى فاذن بالآية التى جاء بها.

[**فرض الصدقات**] قال الطبرى: وفى هذه السنة فرضت الصدقات، لقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية.

[**عود إلى الوفود**]

وفيها قدم وفد ثعلبة بن سعد، ووفد سعد هُذَيْم من قضاعة.

قال الطبرى: وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمّام بن ثعلبة وافداً، فاستحلف رسول الله ﷺ على ما جاء به من الإسلام، وذكر التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج واحدة واحدة حتى إذا فرغ تشهد وأسلم، وقال لأؤدين(٥) هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا أنقص. فلما انصرف قال ﷺ: «إن صدق(٦) دخل الجنة». ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه.

---

(١) رواه البخارى فى المناقب باب ٢٥، والإمام أحمد ٤ / ٢٥٧، ٣٧٨. تيسير الوصول ٤ / ٢٨٨.
(٢) هذا اجل عام لمدة أربعة أشهر، أما من كان له عهد بمدة فإلى مدته.
(٣) تختلف رواية ابن إسحاق عن هذه الرواية، فعند ابن إسحاق (٤ / ٤٠٣: ابن هشام) بعد خروج أبى بكر نزلت سورة براءة، فأرسل النبى ﷺ عليًا ليبلغها، فلحق أبا بكر فى الطريق، فسأله: أمير أم مأمور؟ فقال على: بل مأمور، وأعلمه بمهمته فسارا، هذا لإمارة الحج، وهذا لإعلان الناس.
(٤) أى فحج أبو بكر بالمسلمين حج الإسلام، وحج المشركون حج الجاهلية. (٥) فى م لأؤدى.
(٦) ووردت أيضًا: أفلح إن صدق، ولئن صدق أدخل الجنة. والحديث رواه البخارى فى كتاب الصوم باب ١ وغيره، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان ٩، ١٠، وأبو داود وضوء: ١.

والذى عليه الجمهور أن قدوم ضمام وقصته كانت سنة خمس.

[**سرية إلى نجران وما حولها**] ثم دخلت سنة عشر، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى ربيع أو جمادى فى سرية أربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بنى الحرث بن كعب إلى الإسلام ويقاتلهم إن لم يفعلوا، فأسلموا وأجابوا داعيته، وبعث الرسل فى كل وجه فأسلم الناس، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم. فأقبل خالد ومعه وفد بنى الحرث بن كعب، منهم قيس بن الحُصَيْن ذو الغُصَّة[1]، ويزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المحجّل، وعبد الله بن قُراد الزّيادى، وشدّاد بن عبد الله القنانى[2]، وعمرو بن عبد الله الضبابى[3]، فأكرمهم النبى ﷺ وقال لهم: «بم كنتم تغلبون من يقاتلكم فى الجاهلية»؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحداً بظلم. قال «صدقتم» فأسلموا. وأمَّر عليهم قيس بن الحصين، ورجعوا صدر ذى القعدة من سنة عشر.

ثم أتبعهم عمرو بن حَزْم من بنى النجار ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة، وكتب إليه كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره بأمره، وأقام عاملاً على نجران. وهذا الكتاب وقع فى السير مرويًا، واعتمده الفقهاء فى الاستدلالات، وفيه مآخذ كثيرة للأحكام الفقهية، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله ورسوله. يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهداً من محمد النبى ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن.

آمره بتقوى الله فى أمره كله؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وآمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به.

ويعلمُ الناسَ القرآن ويفهمهم فيه، وأن ينهى الناس فلا يمس القرآنَ إنسانٌ إلا وهو طاهر.

وأن يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم، ويلين للناس فى الحق ويشتد عليهم فى الظلم؛ فإن الله حرم الظلم ونهى عنه، فقال: ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود: ١٨].

وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى

---

(١) قيس بن الحُصَيْن ذو الغصة، وجاء فى هـ: ذو القصة، وهو خطأ والتصويب من ابن هشام ٤ / ٤٣٩، والاصابة ٥ / ٤٦٣.

(٢) شداد بن عبد الله القنانى وليس الضبابى كما فى: هـ. انظر الاصابة ٣ / ٣٢٣، وابن هشام ٤ / ٤٣٩.

(٣) الضِّبابى بكسر الضاد.

يتفقهوا فى الدِّين.

ويعلم الناس معالم الحج وسننه، وفرائضه وما أمر الله به، (فى)[1] الحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة.

وينهى الناس أن يصلى أحدٌ فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون واسعًا يثنى طرفيه على عاتقيْه، وينهى أن يحتبى أحد فى ثوب واحد ويُفضى بفرجه إلى السماء، وينهى أن يقص[2] أحد شعر رأسه إذا عفا فى قفاه.

وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يَدْعُ إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له.

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء فى وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، وأن يمسحوا برءوسهم كما أمرهم الله.

وآمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود، وأن يغلس بالصبح[3] ويهجر بالهاجرة[4] حتى[5] تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو نجوم السماء، والعشاء أول الليل. وآمره بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها، والغسل عند الرواح إليها.

وآمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله، وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين أو سقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وفى كل عشر من الإبل شاتان، وفى كل عشرين أربع شياه، وفى كل أربعين من البقر بقرة، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له.

وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلامًا خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام، فإنه

---

(١) (فى) زيادة فى م وعزاها محقق النسخة م إلا الطبرى ٣/١٢٩ طبعة المعارف.

(٢) والذى فى الطبرى ٣/١٢٩: وينهى الا يقص أحد شعر رأسه إذا عفا فى قفاه.

(٣) غلَّس بالصبح إذا صلاها بغَلَس، أي عندما تختلط ظلمة الليل بضوء الصباح.

(٤) الهاجرة منتصف النهار عند شدة الحر وهجَّر بالهاجرة أى يصلى وقتها.

(٥) فى النسخ التى بين أيدينا متى تميل، والصواب ما أثبتناه من الطبرى ٣/١٢٩.

من المؤمنين له مثل مالهم، وعليه ما عليهم.

ومن كان على نصرانيته. أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها وعليه الجزية: على كل حالم ذكرًا أو أنثى، حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابًا، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمته وبركاته»(١).

عود إلى الوفود:

وقدم وفد غَسَّان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا، وانصرفوا إلى قومهم فلم يجيبوا إلى الإسلام، فكتموا أمرهم، وهلك اثنان منهم، ولقي الثالث أبو عبيدة عامر باليرموك فأخبره بإسلامه.

وقدم عليه وفد عامر: عشرة نفر، فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام، وأقرأهم أُبيّ القرآن، وانصرفوا.

وقدم في شوال وفد سلامان سبعة نفر، رئيسهم حبيب، فأسلموا وتعلموا الفرائض، وانصرفوا.

وفيها قدم وفد أزد جُرَش، وفد فيهم صُرَد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه، ونزلوا على فروة بن عمرو، وأمّر النبي ﷺ بعد أن أسلموا صردًا على من أسلم منهم، وأن يجاهد المشركين حوله، فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين، فحاصرهم شهرًا. ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم فاتبعوه إلى جبل شَكَرْ(٢) فصف وحمل عليهم، ونال منهم، وكانوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ رائدين، وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر، وقال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن. فرجعا إلى قومهما وأخبراهم بذلك وأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم.

---

(١) الحديث رواه أبو داود والنسائي والدارمي مجزءاً في كتاب الصدقة.

(٢) جبل شكر هكذا في ابن هشام، وفي الطبري ٣ / ١٣٠ كُشَر. وقصة هذا الاختلاف ان النبي ﷺ سأل الرائدين: بأي بلاد الله شكر؟ قالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر، ويقول ابن إسحاق: وكذلك يسميه أهل جرش، فقال رسول الله ﷺ: ليس بكشر ولكن شكر. انظر ٤ / ١١٣٠ معجم ما استعجم.

وفيها كان إسلام هَمْدان ووفادتهم على يد على رضى الله عنه، وذلك أن رسول الله بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فمكث ستة أشهر لا يجيبونه، فبعث عليه السلام علىّ بن أبى طالب وأمره أن يَقْفُل خالد، فلما بلغ علىّ أوائل اليمن جمعوا له، فلما لقوه صفوا، فقدم علىٌّ الإنذار، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها فى ذلك اليوم، وكتب بذلك إلى النبى ﷺ، فسجد لله شكرًا، ثم قال: «السلام على همدان» ثلاث مرات[1].

ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، وقدمت وفودهم. وكان عمرو بن معديكرب الزبيدى قال لقيس بن مكشوح المرادى: اذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره، فأبى قيس من ذلك، فقدم عمرو على النبى ﷺ فأسلم. وكان فروة بن مسيك المرادى على زبيد لأنه وفد قبل عمرو مفارقًا لملوك كندة، فأسلم، ونزل على سعد بن عبادة، وتعلم القرآن، وفرائض الإسلام، واستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصى على الصدقة، فكان معه فى بلاده حتى كانت الوفاة[2].

وفى هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو، وكانوا على دين النصرانية فأسلموا، ورجعوا إلى قومهم. ولما كانت الوفاة وارتد عبد القيس ونصّبوا المُنْذر ابن النعمان بن المنذر الذى يسمى الغَرور، ثبت الجارود على الإسلام، وكان له المقام المحمود، وهلك قبل أن يراجعوا. وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العبدى فأسلم وحسن إسلامه، وهلك بعد الوفاة وقبل ردّة أهل البَحْرَيْن. والعلاء أمير عنده لرسول الله ﷺ على البَحْرَين.

وفى هذه السنة قدم وفد بنى حنيفة فى سنة عشر، فيهم مُسَيْلمة بن حَبيب الكذاب، ورجال بن عُنْفُوَة[3]، وطلْق بن على بن قيس، وعليهم سلمان بن حنظلة فأسلموا، وأقاموا أيامًا يتعلمون القرآن من أُبىّ بن كعب، ورجال يتعلم، وطلق يؤذن لهم، ومُسيلمة فى الرحال، وذكروا للنبى ﷺ مكانه فى رحالهم، فأجازه وقال: ليس

---

(١) رواه البيهقى عن البراء بن عازب.

(٢) أى وفاة النبى ﷺ.

(٣) ويدعى الرجال بن عنفوة، وكان قد قرأ القرآن فى المدينة عندما قدم إليها فى وفد بنى حنيفة، وتفقه فى الدين، ووكل إليه النبى ﷺ الدعاية المضادة لفكر مسيلمة فى بنى حنيفة، فسار على ذلك بعض الوقت ثم انقلب فدعا لمسيلمة، فكان أن مكّن له ولدعوته المكذوبة.

بشرُكم مكانًا لحفظه رحالكم، فقال مسيلمة: عرف أن الأمر لي من بعد. ثم ادّعى مسيلمة بعد ذلك النبوة، وشهد له طلق أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر، فافتتن الناس به، كما سنذكره.

وفيها قدم وفد كندة يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر، وقيل في ستين، وقيل في ثمانين، وعليهم الديباج والحرير، وأسلموا، ونهاهم النبي ﷺ عنه، فتركوه، وقال له أشعث: نحن بنو آكل المُرار وأنت ابن آكل المرار، فضحك وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث، وكانا تاجرين، فإذا ساحا في أرض العرب قالا: نحن بنو آكل المُرار، فيعتزان بذلك؛ لأن لهم عليه ولادة من الأمّهات، ثم قال لهم: «لا؛ نحنُ بنو النّضْر بن كنانة فانتَفُوا منّا ولا ننتفي من أبينا»[1].

وقدم مع وفد كنانة وفد حضْرَموت وهم بنو وليعة، وملوكهم جَمْد ومِخْوَس ومِشْرح وأَبْضَعَة، فأسلموا، ودعا لمخوس بإزالة الرتة من لسانه.

وقدم وائل بن حُجْر راغبًا في الإسلام، فدعا له ومسح رأسه، ونودي الصلاة جامعة، سرورًا بقدومه، وأمر معاوية أن ينزله بالحَرّة، فمشى معه وكان راكبًا، فقال له معاوية: أعطني نعلك أتوقى بها الرمضاء، فقال: ما كنت لألبسها وقد لبستها، وفي رواية: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك. فقال أردفني، قال: لستَ: من أرداف الملوك. ثم قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: امش في ظل ناقتي كفاك به شرفًا. ويقال إنه وفَد على معاوية في خلافته فاكرمه[2]، وكتب له رسول الله كتابًا: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب محمد النبيّ لوائل بن حجر قيْل حضرموت: إنك إن أسلمت لك ما في يديك من الارض والحصون، ويؤخذ منك من كل عشر واحدة، ينظر في ذلك ذوا عدل، وجعلت لك ألاّ تظلم فيها معلم الدين» والنبي ﷺ والمؤمنون أشهاد عليه. قال عياض[*]: (وفيه): إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب. وفيه: في التبيعة[3] شاة لا مقورة[4] الاالياط ولا ضناك[5] وأنْطوا[6] الثبجة[7] وفي السيوب[8] الخمس، ومن زنى

(1) روى أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن الأشعث بن قيس «نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا» (الأحاديث الصحيحة: ٢٣٧٥).

(2) وتذكر عندها سوء معاملته لمعاوية يوم أن أسلم فقال نادمًا: فوددت لو كنت حملته بين يدي.

(*) القاضي عياض صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

(3) التبيعة: الحد الأدنى لما يجب فيه الزكاة من الحيوان.

(4) لا مقورة الألياط: غير مسترخية الجلد لهزالها.

(5) الضناك: المكتنز اللحم.

(6) أنطوا: اعطوا بلغة اليمن.

(7) الثبجة: الوسط.

(8) السيوب: المال أو المعدن المدفون.

مبكر[١] فاصفعوه مائة، واستوفضوه[٢] عامًا، ومن زنى مثيب فضرجوه بالأضاميم[٣] ولا توصيم فى الدين[٤]، ولا غُمَّة[٥] فى فرائض الله، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يَتَرَفَّل[٦] على الأقيال».

وفيها قدم وفد مُحارب فى عشرة نفر فأسلموا.

وفيها قدم وفد الرهَّاء من مَذْحج فى خمسة عشر نفرًا وأهدوا فرسًا، فأسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا. ثم قدم نفر منهم وحجوا مع رسول الله ﷺ، وتوفى فأوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكُتَيْبة[٧] وباعوها من معاوية.

وفيها قدم وفد نَجْران النصارى فى سبعين راكبًا يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل، والسيد الأيهم، وجادلوا عن دينهم، فنزل صدر سورة آل عمران، وآية المباهلة[٨]، فأبوا منها، وفرقوا، وسألوا الصلح، وكتب لهم به على ألف حلة فى صفر، وألف فى رجب، وعلى دروع ورماح وخيل، وحمل ثلاثين من كل صنف، وطلبوا أن يبعث معهم واليًا يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح. ثم جاء العاقب والسيد وأسلما.

وفيها قدم وفد الصَّدِف من حضرموت فى بضعة عشر نفرًا فأسلموا، وعلمهم أوقات الصلاة، وذلك فى حجة الوداع.

وفى هذه السنة قدم وفد عبس. قال ابن الكلبى: وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع، ومات فى طريقه. وقال الطبرى: وفيها وفد عَدِىّ بن حاتم فى شعبان. انتهى.

وفيها قدم وفد خَوْلان عشرة نفر فأسلموا، وهدموا صنمهم[٩]، وكان وفد على

---

(١) من زنى مبكر: أى زنى من بكر.

(٢) استوفضوه: أى انفوه.

(٣) ضرِّجوه بالأضاميم: أى دحّوه بالحجارة.

(٤) لا توصيم فى الدين: أى لا تتوانوا فى إقامة حدود الله.

(٥) غمّ: غطى وستر، ولا غمة أى أن فرائض الله لا تستر ولا تخفى بل يجهر بها.

(٦) يترفل: أى يسود ويترأس على غيره من الأقيال.

(٧) الكتيبة: حصن من حصون خيبر، وقد فتح عنوة.

(٨) آية المباهلة: الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٩) صنمهم اسمه عمّ أنس، وقد سأل النبى ﷺ الوفد عنه فقال: ما فعل عم أنس؟ فقالوا: بشر وعرٌّ، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه لهدمناه. الطبقات الكبرى: ج ١، ق ٢، ص ٦١؛ وقد سماه الكلبى: عميانس.

رسول الله ﷺ فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الضبيبى[1] من جُذَام، وأهدى غلامًا [يُسَمى مِدْعمًا][2] فأسلم، وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا.

[**عودة دحية من عند قيصر**] ولم يلبث أن قفل دحية بن خليفة الكلبى منصرفًا من عند هرقل حين بعثه النبى ﷺ ومعه تجارة[3]، فأغار عليه الهُنيد بن عوْض[4] وقومه بنو الضُّلَيْع[5] من بطون جذام فأصابوا كل شىء معه، وبلغ ذلك مسلمين من بنى الضبيب، فاستنقذوا ما أخذه الهنيد وابنه وردّوه على دحية، وقدم دحية على النبى ﷺ فأخبره الخبر، فبعث النبى ﷺ زيد بن حارثة فى جيش من المسلمين، فأغار عليهم بالقضقاض[6] من حرة الرجلاء[7] وقتلوا الهنيد وابنه فى جماعة، وكان معهم ناس من بنى الضبَيْب فاستباحوهم معهم وقتلوهم، فركب رفاعة بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه فى جماعة منهم، فقدموا على النبى ﷺ، وأخبروه الخبر، فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: يا رسول الله أطلق لنا من كان حيًا، ومن قُتِل فهو تحت قدمىّ، فبعث معهم علىّ بن أبى طالب، وحمله على جمل، وأعطاه سيفه، فلحقه بفيفَاء[8] الفحلتين، وأمره برد أموالهم فردّها.

وفى هذه السنة قد وفد عامر بن صَعْصَعَة فيهم عامر بن الطُّفَيْل بن مالك وأرْبَد بن ربيعة بن مالك فقال له عامر: يا محمد اجعل لى الأمر بعدك، قال: «لَيْسَ ذلك لك ولا

(1) رفاعة بن زيد الضبيبى: بضم الضاد فى الجمهرة ٤٧٧ وبفتح الضاد فى الإصابة: ٢ / ٤٩٠.

(2) ما بين قوسين إضافة زادها محقق النسخة م وقد عزاها إلى سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبى الأول الآخر للمهدى يوسف القاضى. وقد استُشهد مدعم بسهم رماه به يهود وادى القرى، فالتحم الفريقان بسببه على أثر مقتله.

(3) وعند الطبرى ٢ / ٦٤٢ أنها كانت هدايا. يقول الطبرى: أقبل دحية الكلبى من عند قيصر، وقد اجاز دحية بمال، وكساه كُسى، أما عبارة ابن هشام ٤ / ٤٥٤ «حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر ومعه تجارة له» اهـ. وما المانع أن يكون خرج بتجارة وعاد معه هدايا! أو عاد ومعه هدايا وتجارة.

(4) عوص بالصاد فى ابن هشام ٤ / ٤٥٤ والطبرى ٣ / ١٤١. وفى تاج العروس عُوص قبيلة من كلب.

(5) الضليع فى ابن هشام ٤ / ٤٥٤، والطبرى ٣ / ١٤٠ وفيها الصليع بالصاد.

(6) فى ابن هشام ٤ / ٤٥٥ الماقص؛ وفى الطبرى ٣ / ١٤١ الفضافض، وكذلك فى معجم ما استعجم ٣ / ١٠٢٥.

(7) حرة الرمل فى هـ، والصواب حرة الرجلاء، (ابن هشام ٤ / ٤٥٥)، (والطبرى ٣ / ١٤١)، ومعجم ما استعجم ٢ / ٦٤٠.

(8) الفيْف والفيفاء والفيفا: كل أرض واسعة، ومنها فيفاء الفحلتين.

لقومك» قال: اجعل لى الوَبر ولك المدَر، قال «لا، ولكن أجعل لك أعنَّة الخَيْل فإنك امرؤٌ فَارِس» فقال: لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً، ثم ولوا فقال «اللهم اكفنيهم، اللهم اهد (بنى)[1] عامرًا وأغن الإسلام عن عامر».

وذكر ابن إسحق والطبرى أنهما أرادا الغدر برسول الله ﷺ فلم يقدروا عليه، فى قصة ذكرها أهل الصحيح. ثم رجعوا إلى بلادهم فأخذه الطاعون فى عنقه، فمات فى طريقه فى أحياء بنى سلول، وأصابت أخاه أربد[2] صاعقة بعد ذلك. ثم قدم علقمة بن عُلاَثة بن عوف وهوذة[3] بن خالد بن ربيعة وابنه، فأسلموا.

وفيها قدم وفد طَيِّئ فى خمسة عشر نفرًا يقدمهم سيداهم زيد الخيل وقَبيصة بن الأسود من بنى نبهان فأسلموا، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وأقطع له بئرًا وأرضين معها، وكتب له بذلك، ومات فى مرجعه.

[**ادعاء مسيلمة النبوة**] وفى هذه السنة ادعى مُسيلمة النبوة، وأنه أُشرك مع رسول الله ﷺ فى الأمر، وكتب إليه «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك فإنى قد أُشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريش قوم لا يعدلون».

[**كتاب النبى إلى مسيلمة**] وكتب إليه رسول الله ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله - ﷺ - إلى مسيلمة الكذاب، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

قال الطبرى: وقد قيل إن ذلك كان بعد منصرف النبىّ ﷺ من حجة الوداع كما نذكر.

* * *

(١) زيادة أثبتها من الطبقات الكبرى ج١، ق ٢، ص ٥١.

(٢) يلتقى نسب عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع نسب أربد فى جعفر بن كلاب، فهم من بنى الأعمام. انظر الطبرى ٣ / ١٤٤، الجمهرة ٢٨٥، وهذا مخالف لما ذكره المصنف هنا من أن أربد أخوه.

(٣) هوذة وفى النسخ عوف وما أثبتناه هو الصواب من طبقات ابن سعد ج١، ق ٢، ص ٥٢.

ثم خرج النبى ﷺ إلى حجة الوداع فى خمس ليال بقين من ذى القعدة، ومعه من أشراف الناس، ومائة من الإبل عُرْيا، ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذى الحجة، ولقيه على بن أبى طالب بصدقات نَجْران فحج معه، وعلّم ﷺ الناس بمناسكهم (وأعلمهم سنن حجهم)(١)، وخطب الناس بعرفة خطبته التى بيَّن فيها ما بيَّن، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

خطبة حجة الوداع:

«أيها الناس: اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً.

أيها الناس: إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلَّغت.

فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن كان ربًا فهو موضوع، ولكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلَمُون، قضى الله أنه لا ربًا، إن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

وإن كل دم فى الجاهلية موضوع كله، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب (وكان مسترضعًا فى بنى ليث فقتله بنو هُذَيْل) فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس من أن يُعبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.
﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٢) [التوبة: ٣٧]، إلى: (فيحلوا

---

(١) فى نسخ سيرة ابن خلدون هذه العبارة: وعلّم ﷺ الناس بمناسكهم واسترحمهم وخطب الناس.. وكلمة استرحمهم لا موضع لها فى السياق فعدنا إلى الطبرى معتمد الشيخ الأول فى تاريخه ووجدنا العبارة كما هى عدا كلمة واسترحمهم، ومكانها واعلمهم سنن حجهم فأثبتناها. (الطبرى: ٣ / ١٥٠).

(٢) النسئ هوتغيير مواقع الأشهر الحرم الأربعة (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم..ورجب).
١ - وكانوا إذا أرادوا الغزو فى المحرم سموه صفراً، وسموا صفراً المحرم.
٢ - وكانت أسواقهم تنعقد فى فصل الخريف لأنه فصل إثمار وخيرات وكانوا يرغبون أن يكون الخريف دائمًا فى شهر حرام لتوفير الأمان للتجار والتجارة.. وهذا لا يكون دائمًا لأن الشهور=

ما حرَّم الله) ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[1]، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الفرد الذى بين جمادى وشعبان.

أما بعد : أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقًا، ولهن عليكم حقًا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبرِّح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان[2] لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى، فإنى قد بلغت قولى وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس : اسمعوا قولى واعلموا أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم. ألا هل بلَّغت؟ فذكر أنهم قالوا : اللهمّ نعم. فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد »[3].

= العربية حسب دورة القمر، والفصول الأربعة حسب الدورة الشمسية. فكانوا يبدّلون فى الشهر لتحقيق ذلك.

٣ - وكانوا أحياناً يلجأون إلى نظام الكبس، وهو زيادة شهر إلى كل ثلاث سنين قمرية فيبقى كل شهر من الشهور العربية فى فصل من الفصول الأربعة بعينه.

ومضار نظام النسيء :

١ - تحليل ما حرم الله من الشهور وتحريم ما حلل الله منها.

٢ - ازدياد عدد شهور السنة إلى ١٣ وأحياناً ١٤ شهراً وهذا مخالف لشرع الله ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾.

٣ - اضطراب أمور الناس وعدم اطمئنان الحجاج والتجار لتذبذب الشهور الحرام.

(١) أى أن الحج فى هذا العام (العام العاشر للهجرة) وافق شهر ذى الحجة حقًا بعيداً عن تدخل أصحاب النسيء.

(٢) العانية : مؤنث العانى وهو الأسير. والجمع عوان أى أسيرات.

(٣) خطبته ﷺ فى صحيح مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم بروايات فيها بعض اختلاف.

وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ[١] وحجة الوداع[٢]؛ لأنه لم يحج بعدها، وكان قد حج قبل ذلك حجتين[٣]، واعتمر مع حجة الوداع عمرة. فتلك ثلاث، ثم انصرف إلى المدينة في بقية ذي الحجة من العاشرة.

* * *

العمال على النواحي

كان رسول الله ﷺ حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن، أمره على جميع مخاليفها، ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات، وبلغه موته منصرفه من حجة الوداع، فقسم عمله على جماعة من أصحابه، فولى على صنعاء ابنه شَهْر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجند[٤] يَعْلى بن أمية، وعلى همدان عامر بن شهر الهمداني، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى ما بين نجران ورِمَع وزبيد خالد بن سعيد بن العاصي، وعلى نجران عمرو بن حزم، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسَّكون عُكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي[٥]، وعلى [بلي] معاوية بن كندة عبد الله المهاجر[٦] بن أبي أمية. واشتكى

(١) حجة البلاغ: لأن النبي ﷺ كان يذكر في خطبتها عبارة التبليغ، ويرى أبو زهرة أنها سميت كذلك لأنها خاتمة البلاغ إلى البلاد العربية، فعلمهم العلم بالدعوة الإسلامية (خاتم النبيين ٢/١٢٠١).

(٢) حجة الوداع: لأنه لم يحج بعدها فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى بعدها بثلاثة أشهر، ولقوله ﷺ «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً».

(٣) قالوا إن النبي ﷺ حج بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث حجات، وقيل حجتين، وقيل كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر (السيرة للطهطاوي).

(٤) الجند في معجم ما استعجم ٢/٣٩٧ بضم ثم إسكان وفي الطبري: الجَنَد: جبل باليمن.

(٥) عكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي، وفي الاستيعاب ٣/١٠٨٠ القرشي بدلاً من الغوثي.

(٦) وعلى (بلي) معاوية بن كندة عبد الله المهاجر بن أبي أمية، هذه العبارة خطأ، ومصدر الغلط أن شيخنا ابن خلدون نقلها عن الطبري في إحدى روايتيه ٣/٢٢٨ فقد جاءت هكذا: على السكاسك والسكون ومعاوية بن كندة، فكأن معاوية بن كندة منطقة أضيفت لإشراف عكاشة، وهكذا جاءت في الاستيعاب ٣/١٠٨٠ بزيادة (بني) قبل معاوية، كما أن محقق م وضع كلمة (بلي) قبل معاوية، والمعروف أن بلي قبيلة، وقال: إن الزيادة من الطبري ٣/٢١٤، وهذه غير موجودة في الطبري بالمرة، ولكن الموجود وهو الصواب، وهو ما جاء في الرواية الثانية للطبري ٣/٢٢٨ ونصها (وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور، وعلى بني معاوية ابن كندة عبد الله - أو المهاجر - انتهى و(أو) هنا توحي الشك، والحقيقة أن عبد الله بن أبي أمية هو المهاجر (انظر ترجمته في الإصابة ٦/٢٢٨).

المهاجر فلم يذهب، فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله.

وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت.

وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات: عدى بن حاتم على صدقة طيىء وأسد، ومالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة، وقسم صدقة بنى سعد بين رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث على بن أبى طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها، فوافاه من حجة الوداع كما مر.

* * *

خبر العنسى

كان الأسود العنسى، واسمه عبْهلة بن كعب، ولقبه ذو الحمار، وكان كاهنًا مشعوذًا يفعل الأعاجيب، ويخلب بحلاوة منطقه، وكانت داره كهف خُبَّان[1]، بها ولد نشأ، وادعى النبوة، وكاتب مذحجا عامة، فأجابوه، ووعدوه نجران، فوثبوا بها، وأخرجوا عمرَو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاصى، وأقاموه فى عملها، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مُسَيك وهو على مراد فأجلوه. وسار الأسود فى سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء، فلقيه شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن، وجعل يطير استطارة الحريق، وعامله المسلمون بالتقية. وارتد كثير من أهل اليمن. وكان عمرو بن مَعْدى كرب مع خالد بن سعيد بن العاصى، فخالفه واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفَه الصمصامة وأخذها، ونزل عمرو عن فرسه وفتك فى الخيل، ولحق عمرو بالأسود[2] فولاه على مَذْحِج، وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادى، وأمر الأبناء إلى فيروز، وداذويْه، وتزوج امرأة شهر بن باذان، واستفحل أمره، وخرج معاذ بن جبل هاربًا، ومر بأبى موسى فى مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت، ونزل معاذ فى السكون، وأبو موسى فى السكاسك، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة، وأقام الطاهر بن أبى هالة ببلاد عك حيال صنعاء.

---

(١) وفى هـ كهف حنار، والصواب ما أثبته. وخبان أرض بأسفل نجران، وإليها ينسب كهف خبان، واشتهر هذا الكهف بأن المرقش الأكبر عاش فيه، وهو شاعر جاهلى مجيد اشتهر بكثرة شعره فى ابنة عمه أسماء، وتزوجت غيره، فمات كمداً فى عشقهاسنة ٧٥ قبل الهجرة.

(٢) فى هـ كلمة (ابن) بين عمرو والأسود، وهو خطأ، والصواب ما هو مثبت: عمرو بالأسود.

فلما ملك الأسود اليمن واستفحل، استخف بقيس بن عبد يغوث، وبفيروز وداذويه، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التى تزوجها الأسود بعد مقتله، واسمها أزاد.

وبلغ الخبر إلى النبى ﷺ فكتب مع وبر[1] بن يُحنّس إلى الأبناء وأبى موسى ومعاذ والطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا فى أمر الأسود بالغيلة أو المصادمة، ويبلّغ عنه من يروم عنده دينا أو نجدة، وقام معاذ والأبناء فى ذلك، فداخلوا قيس بن عبد يغوث فى أمره فأجاب، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فواعدته قتله.

وكتب النبى ﷺ إلى عامر بن شهر الهمدانى، وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكلاع وذى مَرّان[2] وذى ظُلَيْم من أهل ناحيته، وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم، واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد، وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز وداذويه، فعاتبهم وهمّ بهم، ففروا إلى امرأته، وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيّتوه، ففعلوا ذلك.

ودخل فيروز ومعه قيس فقتل عنقه ثم ذبحه، فنادى بالآذان عند طلوع الفجر، ونادى داذويه بشعار الإسلام، وأقام وبر بن يحنس الصلاة، واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم، وماج بعضهم فى بعض، واختطف الكثير من أصحابه صبيانا من أبناء المسلمين وبرزوا، وتركوا كثيراً من أبنائهم، ثم تراسلوا فى رد كل ما بيده، وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران.

وخلصت صنعاء والجنود، وتراجع أصحاب النبى ﷺ إلى أعمالهم، وتنافسوا الإمارة فى صنعاء، ثم اتفقوا على معاذ، فصلى بهم، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر، وكان قد أتى خبر الواقعة من السماء، فقال فى غداتها: قتل العنسى البارحة، قتله رجل مبارك، وهو فيروز. ثم قدمت الرسل، وقد توفى النبى ﷺ.

---

(١) وبرة بن يحنس الخزاعى: الإصابة ٦ / ٦٠٠ وعند الطبرى ٣ / ١٨٧ وبر. وقال ابن عباس: قاتل النبى ﷺ الاسود ومسيلمة وطليحة وأشياعهم بالرسل، فبعث وبرة بن يحنس إلى فيروز ويحنس الديلميين. أى ليحرضهما على قتل الأسود العنسى.. ويحنس بن وبرة (إصابة ٦ / ٦٤٣) كان ممن احتال فى قتل الأسود العنسى مع قريبته امرأة الاسود. وبذلك وضح أن الثانى ليس ابنا للأول، وليس مقلوبه.. بل الأول خزاعى وهو الذى قام بالتحريض، والثانى ديلمى وقد اشترك فى التنفيذ.

(٢) فى هـ (أمران)، والصواب (مران) وهو موضع باليمن.

بعث أسامة:

ولما رجع النبى ﷺ من حجة الوداع آخر ذى الحجة، ضرب على الناس فى شهر المحرم بعثًا إلى الشام، وأمّر عليهم مولاه أسامة بن زيد بن حارثة، أمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم[1] إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام، فتجهز الناس، وأوعب معه المهاجرون الأولون، فبينا الناس على ذلك ابتدأ ﷺ بشكواه التى قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته، وتكلم المنافقون فى شأن الكرامة، وبلغ الخبر بارتداد الأسود ومسيلمة، وخرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه من الصداع، وقال[2]: «إنى رأيت البارحة فى نومى أن فى عضدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمامة وصاحب اليمن، وقد بلغنى أن أقوامًا تكلموا فى إمارة أسامة، إن يطعنوا فى إمارته لقد طعنوا فى إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لحقيقًا بالإمارة، وإنه لحقيق بها، انفروا»[3] فبعث أسامة فضرب أسامة بالجُرُف[4] وتمهل. وثقل رسول الله ﷺ، وتوفاه الله قبل توجه أسامة.

أخبار الأسود ومسيلمة وطُلَيْحة:

كان النبى ﷺ بعد ما قضى حجة الوداع تحلل به السير[5] فاشتكى، وطارت الأخبار بذلك، فوثب الأسود باليمن كما مر، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طليحة بن خويلد فى بنى أسد، يدّعى كلهم النبوة، وحاربهم رسول الله ﷺ بالرسل والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يَجِدّوا فى جهادهم، فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذّب عن دينه، فبعث إلى المسلمين من العرب فى كل ناحية من نواحى هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم، وجاء كتاب مسيلمة إليه فأجابه كما مر، وجاء ابن أخى طليحة[6] يطلب الموادعة، فدعا عليه

---

(١) ويقال الرازوم: انظر الطبرى ١/٢٠٨.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

(٣) وروى الشيخان والترمذى نحوها عن ابن عمر، طرفه «بعث رسول الله بعثًا وأمر عليهم أسامة»، انظر تيسير الوصول ٣/٣٢٢.

(٤) الجُرُف الضبط من معجم ما استعجم ٢/٣٧٧، وفى المشارق لابن عياض على بعد فرسخ من المدينة. وفيها كان يعسكر المسلمون إذا أرادوا الغزو حتى تتم التعبئة.

(٥) تحلل به السير: اعتل بعد قدومه.

(٦) ابن أخى طليحة اسمه حبال (الطبرى ٣/١٨٦).

ﷺ حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان[1].

مرضه ﷺ:

أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من ذلك أن الله نعى إليه نفسه بقوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخر السورة. ثم بداه الوجع لليلتين بقيتا من صفر، وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه أن يمرَّض في بيت عائشة، فأذنَّ له، وخرج على الناس فخطبهم وتحلل منهم[2]، وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم، ثم قال لهم: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده»[3] وفهمها أبو بكر فبكى، فقال: بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا. فقال: على رِسْلك يا أبا بكر.

ثم جمع رسول الله ﷺ أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان، ودعا لهم كثيراً، وقال: «أوصيكم بتقوى الله، وأوصى الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأودعكم إليه، إنى لكم نذير وبشير، ألاَّ تعلوا على الله فى بلاده وعباده، فإنه قال لى ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

ثم سألوه عن مغسله فقال: «الأدْنَوْن من أهلى».

وسألوه عن الكفن فقال: «فى ثيابى هذه أو ثياب مصرَ أو حُلة يمانية».

وسألوه عن الصلاة عليه فقال «ضعونى على سريرى فى بيتى على شفير قبرى، ثم اخرجوا عنى ساعة حتى تُصَلِّى علىَّ الملائكة، ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا، وليبدأ رجال أهلى ثم نساؤهم».

وسألوه عمن يُدخله القبر فقال: «أهلى» ثم قال: «ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»[4] فتنازعوا وقال بعضهم: أهجر؟ (يستفهم) ثم ذهبوا يعيدون

---

(١) وكان من دعا عليه أن يقتل محروماً من الشهادة.. وقد كان.

(٢) تحلل منهم اى طلب من الناس أن يسامحه من كان له حق عليه، أو يقتص منه؛ وذلك قوله: ألاَ وإن أحبكم إلىّ من أخذ منى حقاً إن كان له، أو حللنى، فلقيت الله وأنا أطيب النفس.

(٣) رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى.

(٤) رواه الشيخان عن ابن عباس (تيسير الوصول ٤ / ٢٣٥).

عليه، ثم قال: « دعوني[1] فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ».

وأوصى[2] بثلاث: أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم، وسكت عن الثالثة (أو نسيها الراوي)[3].

وأوصى بالأنصار، فقال: « إنهم كَرِشي وعيبتي[4] التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم، قد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون »[5] ثم قال: « سدُّوا[6] هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأً أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة إخاء وإيمان حتى يجمعنا الله عنده ».

ثم ثقل به الوجع وأغمي عليه، فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعلي، ثم حضر وقت الصلاة، فقال: « مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس »[7] فقالت عائشة: « إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك، فمُرْ عُمَرَ. » فامتنع عمر، وصلى أبو بكر، ووجد رسول الله ﷺ خفة فخرج، فلما أحس أبو بكر تأخر، فجذبه رسول الله ﷺ وأقامه مكانه، وقرأ من حيث انتهى أبو بكر، ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر. قيل: صلوا كذلك سبع عشرة صلاة. وكان يُدخل يده في القدح وهو في النزع فيمسح وجهه بالماء ويقول: « اللهم أعنِّي على سكرات الموت »[8].

فلما كان يوم الإثنين وهو يوم وفاته، خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه، وأبو بكر يصلي، فنكص عن صلاته وردّه رسول الله ﷺ بيده، وصلى قاعداً عن يمينه، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم.

---

(1) من حديث ابن عباس السابق في البخاري باب مرض النبي ﷺ.

(2) من حديث ابن عباس أيضاً. (3) وفي البخاري: أو قال نسيتها.

(4) كرشي وعيبتي أي موضع سري وأمانتي، فاستعارها لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته (أي حقيبته). وقال أبو عبيد: يقال للجماعة من الناس: كرش، كأنه أراد جماعتي وصحابتي الذين بهم أثق وعليهم أعتمد.

(5) رواه الشيخان والترمذي، وزاد البخاري في أخرى « ويقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام ».

(6) رواه الشيخان والترمذي عن أبي سعيد الخدري (تيسير الوصول ٣ / ٣٠٧).

(7) رواه الشيخان عن ابن عمر.

(8) رواه الحاكم والترمذي وابن ماجه عن عائشة قالت: رأيت رسول الله وهو يموت وعنده قدح فيه ماء.. الحديث.

ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر: «إنى أراك أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب»، وخرج إلى أهله فى السُّنْح، ودخل رسول الله ﷺ فى بيته فاضطجع فى حجرة عائشة، ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر عليه وفى يده سواك أخضر، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريده، قالت: فمضغته حتى لان وأعطيته إياه فاستن به ثم وضعه، ثم ثقل فى حجرى، فذهبت أنظر فى وجهه فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: «الرفيق الأعلى من الجنة»(١) فعلمت أنه خُيِّر فاختار.

وكانت تقول: قُبض رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى. وذلك نصف نهار يوم الإثنين لليلتين من شهر ربيع الأول، ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء، ونادى النَّعيُّ فى الناس بموته، وأبو بكر غائب فى أهله بالسنح، وعمر حاضر، فقام فى الناس وقال: «إن رجالاً من المنافقين زعموا أن رسول الله ﷺ مات، وإنه لم يمت، وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدى رجال وأرجلهم».

واقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه وقبَّله وقال: «بابى أنت وأمى قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موتة أبداً»(٢). وخرج إلى عمر وهو يتكلم، فقال: أنصتْ، فأبى، وأقبل على الناس يتكلم، فجاءوا إليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه وقال(٣): «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت». ثم تلا: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾** [آل عمران: ١٤٤] الآية، فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية فى المُنزل، قال عمر: فما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعتُ إلى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أنه قد مات، وقيل تلا معها **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾** [الزمر: ٣٠] الآية.

وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الانصار أنهم اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يبايعون سعد بن عبادة ويقولون: منا أمير ومن قريش أمير، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين إليهم، وأقام على وعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد يتولون

---

(١) رواه البخارى عن عائشة.

(٢) رواه البخارى عن عائشة وفيه قال أبو بكر: بأبى أنت وأمى، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقدمُتَّها.

(٣) خطبة أبى بكر رواها البخارى من حديث عائشة باب مرض النبى ﷺ ووفاته.

تجهيز رسول الله ﷺ، فغسله عليٌّ مُسنده إلى ظهره، والعباس وابناه يقلبونه معه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعليٌّ يدلك من وراء القميص لا يُفضى إلى بشرته؛ بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه. ثم أصابتهم سنة فخفقوا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه[١]، ففعلوا. ثم كفنوه في ثوبين صحاريين[٢] وبرد حبرة[٣]، أُدرج فيهن إدراجًا، واستدعوا حفَّارَين، أحدهما يُلحِّد، والآخر يشق. ثم بعث إليهما العباس رجلين وقال: «اللهم خِرْ لرسولك» فجاء الذى يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل كان يحفر لأهل المدينة، فلحد لرسول الله ﷺ.

ولما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء، وُضع على سرير بيته، واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته؟ فقال أبو بكر: سمعته ﷺ يقول «ما قُبض[٤] نبى إلا يدفن حيث قبض». فرُفع فراشه الذى قبض عليه وحفر له تحته، ودخل الناس يصلون عليه أفواجًا: الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد، لا يؤم أحدهم أحدًا، ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء. وعن عائشة لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول، فكملت سنو الهجرة عشر سنين كوامل، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل خمس وستين سنة، وقيل ستين[٥].

[تم بحمد الله]

---

(١) أخذتهم سنة من النوم فمالت ذقونهم على صدورهم فسمعوا هاتفًا يقول: اغسلوه وعليه ثيابه.

(٢) صحار: قرية باليمن نسب إليها هذين الثوبين.

(٣) برد حبرة: برد يمانى.

(٤) روى الترمذى عن أبى بكر نحوه بلفظ «ما قبض الله تعالى نبيًا إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه» (صحيح الجامع الصغير).

(٥) ويوافق يوم وفاته ﷺ ٨ يونيو سنة ٦٣٢م.

أهم مراجع التحقيق والتعليق

كتب السنة : البخارى، مسلم، أبو داود،
الترمذى، النسائى، ابن ماجه، الدارمى، مسند أحمد، موطأ مالك.
صحيح الجامع الصغير / تيسير الوصول إلى جامع الأصول.
١ - أسباب النزول : الواحدى، وأسباب النزول : السيوطى.
٢ - الاستيعاب فى معرفة الاصحاب : ابن عبد البر / نهضة مصر.
٣ - الإصابة فى تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلانى / نهضة مصر.
٤ - أنساب الاشراف : البلاذرى / ت د. محمد حميد الله / دار المعارف.
٥ - تاريخ الإسلام : الحافظ الذهبى / دار الغد.
٦ - جمهرة الانساب : ابن حزم / ت. عبد السلام هارون / دار المعارف.
٧ - جوامع السيرة النبوية : ابن حزم / الأزهر.
٨ - خاتم النبيين : الإمام محمد أبو زهرة / دار الفكر العربى.
٩ - الرسل والملوك : الطبرى / دار المعارف.
١٠- الروض الأنف : السهيلي /ت : طه عبد الرءوف سعد / الكليات الأزهرية.
١١ - زاد المعاد فى هدى خير العباد / ابن القيم / مصر.
١٢ - سبل الهدى والرشاد : الشامى الصالحى / المجلس الاعلى للشئون الإسلامية.
١٣ - السيرة النبوية : ابن هشام / ت : أحمد حجازى السقا / مصر.
١٤ - السيرة النبوية / الحافظ الذهبى / ت : حسام الدين القدسى / بيروت.
١٥ - الطبقات الكبرى / ابن سعد كاتب الواقدى دار التحرير / القاهرة.
١٦ - عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب / جمال الدين أحمد بن علي(ابن عتبة).
١٧ - عيون الأثر : ابن سيد الناس / بيروت.

١٨ – المحبر: ابن حبيب / بيروت.
١٩ – مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض / مصر وتونس.
٢٠ – المعارف: ابن قتيبة / ت: ثروت عكاشة / المعارف.
٢١ – معجم ما استعجم: البكري /ت: مصطفى السقا / بيروت.
٢٢ – المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: تحقيق حمد الجاسر.
٢٣ – نسب قريش: المصعب الزبيري / اليفي بروفنسال / المعارف.
٢٤– كتب اللغة: أساس البلاغة للزمخشري / لسان العرب لابن منظور / المعجم الوسيط للمجمع / مختار الصحاح.

فهـرس أبجـدى عـام

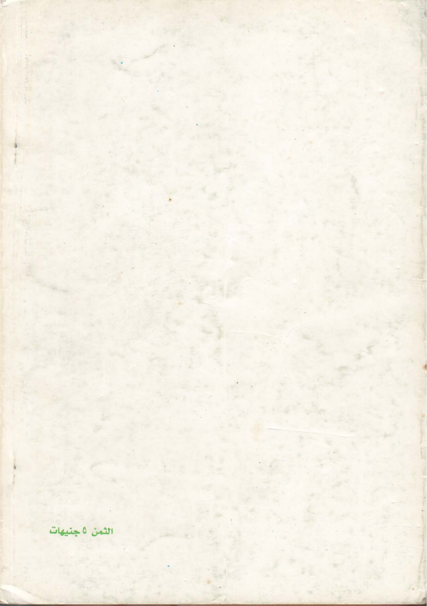
(هـ)

(و)

(ى)

المحتويات

رقم الإيداع : ١٥٨١٧ / ٩٩ / الترقيم الدولى I. S. B. N. 977-241-2299-3


الثمن ٥ جنيهات